السنة الثالثة | العدد (140) | 2014 / 5 / 25

سوريتنا

www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

أطفالنا سوريا
أي مستقبل
ينتظرهم

فكر وليس كفر
قراءة في العلمانية وشرط الحياد الديني

أكثر من مليون جريح مدني منذ بداية الثورة،
نصفهم من الأطفال والنساء

حقوق المواطنة وحقوق الإنسان

أضحك العالم وبكى وحيداً
نهاد قلعي 1928 ـ 1993

هدى، 11 سنة، في مخيم الزعتري بعد عام من تعرضها لانفجار قنبلة
Dear Word, By: Benjamin Reec :مصدر الصورة

إدانة واسعة للانتهاكات ضد المدنيين في حلب من النظام والمعارضة، وأخبار عن تفاقم الأمراض نتيجة انقطاع المياه النظيفة عنها

■ ملف الإخبار من إعداد: زليخة سالم

أدانت المفوضة السامية لحقوق الإنسان نافي بيليه التجاهل الصارخ للقانون الإنساني وحقوق الإنسان من قبل الحكومة، وبعض الجماعات المسلحة في سورية، والذي يتسبب في معاناة هائلة للمدنيين في محافظة حلب.

و قالت بيليه في بيان صحفي الخميس الماضي إن سكان حلب يعيشون في ظروف مروعة، في ظل قصف مكثف وهجمات جوية خلال الستة أشهر الأخيرة بما في ذلك استخدام القنابل البرميلية.

وحثت المفوضة السامية جميع الأطراف على الوقف الفوري لمثل تلك الهجمات العشوائية ضد المدنيين.

وأوضحت بيليه في بيانها أن مكتب المفوضة السامية تلقى معلومات تفيد بأن شبكة المياه في حلب قد تم إصلاحها عشرات المرات في شهر نيسان وحده، بسبب الأعطال الناجمة عن القصف الجوي وإطلاق القذائف.

وذكرت عدة تقارير لمنظمات حقوقية وإنسانية منها الشبكة السورية لحقوق الإنسان إلى قيام جبهة النصرة بقطع المياه بشكل متعمد عن المدينة لعدة أيام خلال الشهر الحالي، والتهديد الدائم بقطع المياه والكهرباء عن العديد من المناطق.

وذكرت المفوضة السامية أن المعارك الدائرة خلفت عواقب رهيبة أيضاً على السجناء والمحتجزين في سجن حلب المركزي المحاصر من قبل عدة جماعات مسلحة منذ منتصف العام الماضي، قبل أن يتم فك الحصار عنه، حيث لقي مئات المعتقلين حتفهم نتيجة شح الغذاء والإمدادات الطبية والقتال الدائر في المنطقة المحيطة بالسجن.

وتشير المعلومات والتقارير إلى قتل سجين خلال الشهر الحالي بإطلاق النار على زنزانته من قبل أحد الحراس، وبقيت الجثة في مكانها لمدة يومين قبل أن تنقل، وإلى أن مئات المعتقلين مازالوا في السجن على الرغم من انتهاء فترات عقوباتهم.

أطفال يلعبون في أحد شوارع حلب شباط 2014

ودعت بيليه إلى ضمان الوصول الإنساني بدون إعاقات للمحتجزين في سجن حلب المركزي، وإطلاق سراح السجناء الذين قضوا فترات عقوباتهم والمحتجزين تعسفياً.

من جانب آخر أعرب خبراء الأمم المتحدة المعنيون بالحقوق في المياه والصرف الصحي والصحة، عن القلق إزاء حرمان أعداد كبيرة من سكان حلب من حقهم في الوصول إلى المياه الصالحة للشرب، مما اضطرهم إلى استخدام مياه غير صالحة الأمر الذي أدى إلى مرضهم.

وأكد خبراء حقوق الإنسان في بيان لهم الجمعة الماضية أن التعمد في استهداف المدنيين وحرمانهم من الإمدادات الأساسية مثل المياه هو أمر مثير للقلق، وخرق واضح للقانون الإنساني الدولي وحقوق الإنسان على حد سواء.

ودعا الخبراء جميع الأطراف في سورية إلى اتخاذ خطوات فورية لضمان استعادة إمدادات المياه إلى حلب بشكل دائم، ومنع مزيد من التدخل في الحصول على المياه الصالحة للشرب، وغيرها من الإمدادات الحيوية.

وأشار البيان إلى أن التقارير تفيد بأن مدينة حلب تعاني من وصول متقطع للمياه منذ بداية شهر أيار الجاري، نتيجة تدخل متعمد في إمدادات المياه على ما يبدو، الأمر الذي أدى إلى حرمان أكثر من مليون شخص من المياه الصالحة للشرب والصرف الصحي.

85 % من المساعدات الإغاثية تنتهي في المناطق الموالية للنظام والأمم المتحدة تشارك في حملة الأسد الانتخابية بخيمها التي تتصدر المقرات الانتخابية والحواجز

كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية أن أكثر من 85 ٪ من مساعدات الأمم المتحدة للإغاثة الإنسانية والغذائية تنتهي في منطقة الساحل، معقل بشار الأسد ومناصريه، وأكثر من 70 ٪ من الأدوية ذهبت إلى المناطق الموالية خلال الأشهر الثلاثة الأولى من 2014، مقارنة مع ما يقرب من 50 ٪ تقريبا قبل عام.

وأوضحت الصحيفة في تقرير لها أن الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون سيكشف هذا الأسبوع عن هذا التباين الصارخ في عدم المساواة (بين مناطق المعارضة والنظام)، خلال تقديمه التقييم الشهري،

وحذرت من أن كشف هذه الحقائق من شأنه أن يؤجج مشاعر المانحين الغربيين والعرب الذين يثقون في الأمم المتحدة، ويفضلون ضخ مساعداتهم للسوريين عبر وكالاتها، أملا في أن تصل إلى مستحقيها من المنكوبين.

ونقلت الصحيفة عن «جون جينج» مدير العمليات الميدانية لمكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في أنحاء العالم، أن نظام بشار الأسد هددهم بالطرد من الأجزاء التي يسيطر عليها من سورية إن عبروا بقوافل المساعدات من الحدود دون أخذ موافقة النظام.

وقال جينج: التاريخ «سيحكم إذا كنا على صواب أو خطأ» في خصوص التعامل مع النظام لضمان استمرار تدفق المساعدات، ولا شيء سيمنعنا من «إنقاذ الأرواح».

وأوضحت الصحيفة أن المناقشات حول ملف المساعدات تصاعد منذ ثلاثة أشهر، بعد أن وثقت وكالات الإغاثة الأممية العاملة في الميدان خروقات متكررة لقرار مجلس الأمن الملزم قراراً حث فيه جميع الأطراف في سورية على تسهيل مرور شحنات المواد الغذائية والأدوية، معتبرة أن هذه الخروقات تعكس مدى الاستهزاء بمجلس الأمن وقراراته.

من جانب في أخر، لا يخفى على أحد ما آلت إليه المساعدات في المدن الموالية للنظام وفي العاصمة دمشق، حيث تستخدم خيم الأمم المتحدة في الترويج لحملة بشار الأسد الانتخابية، وتتصدر المقرات الانتخابية، والحواجز العسكرية التابعة للنظام، وتمتلئ الأسواق بالمواد الغذائية المخصصة للمنكوبين من السوريين، والتي يبيعها الموالون بأسعار مرتفعة.

استمرار تدهور الوضع الصحي ل 18 ألف مدني محاصرين في مخيم اليرموك بدمشق وتعطل أدنى أولويات الرعاية الصحية فيه

قالت وكالة غوث اللاجئين الأونروا أن الوضع الصحي ل 18 ألف مدني من اللاجئين الفلسطينيين في مخيم اليرموك بدمشق مستمرا بالتدهور، حيث تعطلت الرعاية الصحية الأولية التابعة للوكالة في المخيم، وهنالك انعدام حاد في الأمن الغذائي ونقص شديد في الأدوية المنقذة للحياة.

وأضافت الأونروا في تقريرها السنوي الصادر يوم الثلاثاء أن ربع المتطلبات الغذائية فقط قد تمت تلبيتها من خلال توزيعها للمعونات الغذائية في الأشهر الأربعة الماضية، الأمر الذي يزيد من المخاطر الصحية، وأنها تمكنت من تقديم الآلاف من الطرود الغذائية التي هنالك حاجة ماسة لها داخل اليرموك، بالرغم من المخاطر الهائلة والانقطاع المتكرر.

وأوضحت دائرة الصحة في الأونروا: أن الوكالة قامت بتأسيس عشر "نقاط صحية" وعملت أيضاً على تكثيف العمل بتلك العيادات التي لا تزال تعمل، بعد تدمير أكثر من نصف مراكزها الصحية في سورية.

وقال الدكتور أكيهيرو سيتا مدير دائرة الصحة بالأونروا: "لقد كان تحديا هائلا، إلا أننا استطعنا الاستجابة لوضع مدمر، لقد قمنا بتأسيس ثماني نقاط صحية في دمشق واثنتين في حلب، وقد سمحت لنا تلك النقاط بمواصلة الاستشارات التي هنالك حاجة ماسة لها، وذلك على الرغم من أن أكثر من نصف عياداتنا البالغ عددها ثلاثا وعشرين قد تعرضت للدمار أو أصبحت غير عاملة.

وأضاف الدكتور سيتا "من خلال نقل الرعاية الصحية خارج بعض المناطق وبعيدا عن العيادات القائمة، تمكنت الأونروا من الاستجابة للقيود المفروضة على الحركة والتي أثرت على المستفيدين، وقمنا حتى الآن بتحصين 23،583 طفلا ضد مرض شلل الأطفال.

وأوضح أن الوكالة قامت بنقل العاملين الصحيين إلى المنشآت التي تستضيف اللاجئين، كالمدارس، بحيث تصبح قادرة في بعض الأماكن على تقديم الخدمات الطبية على مدار الساعة، وقد تلقى أربعون فريقا صحيا تابعاً للأونروا تدريبا خاصا في مجال الرعاية الطبية الطارئة.

كما قامت الوكالة بزيادة الإعانات النقدية لمرضى الأونروا الذين يبحثون عن العلاج في مستشفيات غير تابعة للأونروا، "إلا أن الأنظمة الصحية الضعيفة وضعف سبل الوصول للرعاية الصحية قد تسببت بتفشي الأمراض المعدية والسارية مثل شلل الأطفال والتهاب الكبد الوبائي.

وأكد الدكتور سيتا: "إن الأزمة التي طال أمدها لأكثر من ستة عقود قد تسببت بحدوث عجز كبير في مجالات الصحة والغذاء والسكن والتعليم وسبل المعيشة، وإن المحددات الاجتماعية الفقيرة والضئيلة المزمنة للصحة، قد أوصلت الصحة الجسدية والعقلية والاجتماعية لجيل من لاجئي فلسطين، إلى مقربة من نقطة اللاعودة.

وأشار التقرير إلى أن الأحداث في سورية تسببت في نزوح أكثر من ربع مليون لاجئ فلسطيني داخل سورية، العديد منهم يواجهون نزوحا متعدداً وبحاجة لمساعدة إنسانية عاجلة، كما أن هنالك أكثر من 50 ألف لاجئ قد بحثوا عن الملاذ في لبنان إضافة إلى أكثر من 10 آلاف شخص قد بحثوا عنه في الأردن.

ازدياد معاناة السوريين الصحية في لبنان

وصفت منظمة العفو الدولية فشل المجتمع الدولي في تمويل برامج الأمم المتحدة لمساعدة اللاجئين الذين يتعرضون إلى صعوبات جمة خلال قيامهم بالعلاج في مستشفيات لبنان ب" الفشل المخزي "

وحمّلت المنظمة في تقرير نشرته اليوم الأربعاء المجتمع الدولي مسؤولية تعريض السوريين أنفسهم للخطر، من خلال الاستغناء عن العلاج، أو الاستدانة، أوالعودة إلى بلادهم، نتيجة عدم تمكنهم من تلقي العلاج الطبي الذي يحتاجونه، بسبب نقص المساعدات الدولية، واختلال النظام الصحي في لبنان.

وقالت "أودري غوغران" المسؤولة في منظمة العفو الدولية: إن "اللاجئين السوريين في لبنان يعانون، وهذا نتيجة مباشرة لفشل المجتمع الدولي المخزي في تمويل برنامج المساعدة الإنسانية للأمم المتحدة في لبنان، و"حان الوقت كي يعترف المجتمع الدولي بنتائج فشله في تقديم المساعدة الملائمة للاجئين السوريين"

وأضافت غوغران: إن الوصول إلى "المستشفيات وإلى العلاجات المتخصصة بالنسبة للاجئين السوريين في لبنان هو غير كاف بتاتا والوضع ازداد سوءا بسبب النقص الكبير في التمويل الدولي"

وأكدت منظمة العفو الدولية في تقريرها على سوء تنظيم النظام الطبي اللبناني وكلفة العلاجات، ما يجعل مسالة الطبابة بالنسبة إلى اللاجئين السوريين أكثر صعوبة.

وأوردت نموذجا لفتى في الثانية عشرة أصيب بحروق بالغة وبقي أياما عدة من دون علاج، ما تسبب بالتهاب جروحه، وعندما نقل إلى المستشفى، تكفلت المفوضية العليا للاجئين بتغطية نفقات الالتهابات فقط وليس الحروق، مؤكدة أن هذا يدفع عدد كبير من اللاجئين الفقراء إلى الاستدانة من اجل دفع ثمن الأدوية والعلاجات، ويختار آخرون العودة إلى سورية كي يشتروا أدوية بأسعار أقل، أو محاولة تلقي العلاج، بالرغم من المخاطر التي يتعرضون لها بسبب الحرب، بينما يبقى البعض من دون علاج، مع ما يعني ذلك من مضاعفات خطيرة، وصولا إلى خطر الموت.

وتقدم المفوضية العليا للاجئين مساعدة لبعض السوريين الذين يحتاجون إلى طبابة، لكنها تفرض معايير تتضمن الكثير من القيود، وتطلب مساهمة بنسبة 25٪ من المصاريف بسبب النقص في التمويل.

ونوهت المنظمة بجهود لبنان الذي يواصل استقبال اللاجئين الذين تجاوز عددهم المليون سوري في بلد صغير يبلغ عدد سكانه الأصليين أربعة ملايين، وتوقعت أن يصل هذا العدد إلى مليون ونصف المليون بحلول نهاية 2014، مشيرة إلى الصعوبات التي يواجهها لبنان في تأمين حاجات شعبه وواجباته تجاه اللاجئين.

وأكدت المنظمة ضرورة أن لا يترك لبنان وحده ليتعامل مع إحدى أسوأ أزمات اللاجئين في التاريخ، وأن هذه مسؤولية جماعية، وعلى الدول التي تملك إمكانات اقتصادية أن تقدم.

وأوضحت منظمة العفو الدولية أن رفض الحكومة اللبنانية السماح بإقامة مستشفيات ميدانية يعرقل الجهود لناحية تسهيل وصول السوريين إلى العلاج.

وجددت دعوتها المجتمع الدولي إلى زيادة تمويل خطة مساعدة الأمم المتحدة، وتقديم المزيد من المساعدات للبنان، والدول الأخرى في المنطقة التي تستضيف لاجئين سوريين، والى استقبال اللاجئين من دول أخرى.

وكانت الأمم المتحدة قد وجهت نداءً لجمع 6،5 مليار دولار لضحايا الحرب في سوريا، في شهر كانون الأول الماضي، لكنها حصلت على وعد بـ2،3 مليار دولار فقط خلال مؤتمر المانحين الذي عقد في الكويت في الشهر التالي.

لاجئة سورية تنتظر عند أحد مستوصفات الأمم المتحدة للعلاج

ظهور صور تعذيب جديدة للمعتقلين بالتزامن مع فيتو روسي صيني لإحالة ملف سورية إلى محكمة الجنايات الدولية

بثت وكالة الأناضول للأنباء صوراً جديدة تُظهر تعذيب النظام السوري، والقتل الممنهج للمعتقلين من المعارضة حصلت عليها، بالتزامن مع عرقلة روسيا والصين بالفيتو على تصويت مجلس الأمن الدولي مساء الخميس على مشروع قانون فرنسي لتحويل الملف السوري إلى محكمة الجنايات الدولية.

وتوضح الصور الجديدة جثثا لمعتقلين تحمل أرقاما شُوهت بفعل عمليات التعذيب لأطفال، وشباب، ومسنين، عُذب البعض منهم بأدوات حادة، وتظهر صورا ثانية قلع أعين عدد آخر من المعتقلين، فيما تظهر صورا أخرى الجثث وقد صُفت بجانب بعضها البعض بأرقام متتابعة.

وتوثق الصور المنشورة لجرائم ضد الإنسانية يرتكبها النظام السوري، إضافة إلى 55 ألف صورة ل 11 ألف معتقل نشرتها الوكالة في كانون الثاني الماضي، تظهر تعذيب نظام بشار الأسد للمعتقلين، وقتلهم بشكل ممنهج، حيث أظهرت الصور عمليات التوثيق بالأرقام، وذلك عبر أحد المكلفين بالتصوير الذي عرف لاحقا باسم «سيزر»، فيما لم يتم الكشف عن شخصيته لأسباب أمنية.

واستخدمت روسيا والصين الفيتو للمرة الأولى، لوقف مشروع قرار فرنسي يدعو إلى تحويل الملف السوري إلى محكمة الجنايات الدولية، بتهمة ارتكاب جرائم حرب من قبل جميع الأطراف، وللمرة الرابعة ضد قرارات مشاريع قرارات غربية تتعلق بالملف السوري الإنساني.

وعرضت فرنسا المشروع «الذي دعمته 60 دولة بينها أعضاء في الاتحاد الأوروبي واليابان وكوريا الجنوبية وعدة دول إفريقية « في مواجهة تصاعد الفظاعات والجرائم في سورية، بما يشمل الهجمات الكيميائية، وعمليات التعذيب المنهجية، والقصف بالبراميل المتفجرة، وعرقلة وصول المساعدات الإنسانية.

ونقلت مندوبة الولايات المتحدة في مجلس الأمن سامنتا باور: رواية قصي زكريا وهو شاهد سوري من معضمية الشام في ريف دمشق وثق انتهاكات النظام وجرائمه ضد المدنيين.

وقالت باور: نتيجة للتصويت «لن يصل الشعب السوري إلى العدالة اليوم، معتبرة أن الفيتو لا يحمي فقط النظام السوري وإنما المجموعات الإرهابية أيضاً.

وقال سفير كوريا الجنوبية أوه جون، الرئيس الدوري للمجلس، إن «مشروع القرار لم يعتمد بسبب تصويتين سلبيين من عضوين دائمين في المجلس.

ونقل مراسل العربية عم مسؤول غربي كبير داخل مجلس الأمن، قوله أن الولايات المتحدة الأميركية تقوم حالياً بالنظر، ودراسة خيارات أخرى لتحقيق المحاسبة والعدالة في سورية، فضلاً عن أن فكرة إنشاء محكمة خاصة بسورية أثارت اهتمام جميع الدول المعنية في مجلس الأمن، وكانت لها ردود فعل كبيرة في نيويورك.

تعد المجموعة العربية حالياً بقيادة السعودية مشروع قرار لعرضه على الجمعية العامة بشأن المحاسبة والشؤون الإنسانية، وسيتعرض أيضاً لمسألة الانتخابات السورية، من المتوقع أن يقدم إلى الجمعية العامة خلال الشهر القادم.

كما يوجد أيضاً مشروع قرار تعده أستراليا ولوكسمبورغ والأردن وهو تحت الفصل السابع ويختص بالشؤون الإنسانية.

من جانبه دعا بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة مجلس الأمن الخميس، لدراسة التحركات الواجب اتخاذها لإلزام الأطراف بتنفيذ مطالبه بوصول المساعدات الإنسانية التي تشتد الحاجة لها إلى ملايين السوريين المحاصرين الذين حرموا من الحصول على مساعدات طارئة.

وقال: في تقرير رفع إلى المجلس أنه «على الرغم من رغبة المجلس المعبر عنها بشكل واضح وبرغم بذل العاملين في الإغاثة لأفضل الجهود، فإن القرار 2139 لم يحدث بعد فرقا ملموسا بالنسبة لحياة ملايين المحتاجين في سورية.

وحان الوقت للمجلس «ليدرس بشكل عاجل الخطوات التي سيتخذها الآن لضمان الامتثال لهذه المطالب، بعد ثلاثة شهور من الإجماع النادر للمجلس على القرار 2139 المطالب بإتاحة الوصول السريع والآمن ودون عرقلة للمساعدات بما في ذلك عبر الحدود.

أكثر من مليون جريح مدني منذ بداية الثورة، نصفهم من الأطفال والنساء

كشفت الشبكة السورية لحقوق الإنسان، في «تقديراتها الأولية لأعداد الجرحى في سورية منذ بداية الثورة في أذار 2011 إصابة ما لا يقلّ عن (1.1) مليون شخص، 45 ٪ منهم من النساء والأطفال، أي قرابة نصف مليون طفل وامرأة مصابين.

وقدرت الشبكة في تقرير خاص لها أصدرته الخميس أن نحو 120 ألف حالة من الإصابات إجمالي الإصابات بنسبة / 10 – 15 / ٪ إصابتهم ما بين حالات إعاقة، أو بتر للأعضاء.

وبينت الشبكة أن «معظم إصابات الإنفجارات والعبوات الناسفة تكون بنسبة 50 ٪ ضمن الناحية الوجهية، أما الأطراف فإنها تصاب بنسبة ٪30، في حين تصاب بقية أنحاء الجسم بنسبة 20 ٪.

ومعظم إصابات الطلق الناري المباشر والقنص بنسبة 50 ٪ تكون ضمن منطقتي الصدر والبطن، أما إصابة الأطراف فتكون بنسبة (٪40)، والناحية الوجهية الرأسية بنسبة 10 ٪.

وأوضحت الشبكة في تقريرها أن «أكبر عدد للجرحى سجل في محافظة ريف دمشق، حيث بلغت نحو (194) ألف جريح، في حين بلغت في محافظة حمص نحو (187) ألف جريح، واحتلت محافظة حلب المرتبة الثالثة بنحو (183) ألف جريح، وبلغت أرقام الجرحى في باقي المحافظات حسب الترتيب كما يلي:

في محافظة إدلب نحو (117) ألفا، وفي محافظة درعا نحو 92 ألفا، وفي محافظة دير الزور حوالي (85) ألفا، فيما وصلت الأرقام في محافظة حماة إلى نحو (78) ألف جريح، وفي محافظة دمشق نحو (44) ألفا، بينما في محافظة اللاذقية سقط نحو (34) ألفا، وفي محافظة الرقة (14) ألفا، وفي محافظة الحسكة نحو (11) ألفا، وفي بقية المحافظات (طرطوس في منطقة بانياس تحديدا _القنيطرة_ السويداء) سقط نحو (8) آلاف جريح».

وقالت الشبكة أن أبرز الانتهاكات التي تمارسها الحكومة السورية بحق الجرحى هي القصف اليومي على مدار ثلاث سنوات، وهو السبب الرئيسي لإصابات الجرحى، إضافة إلى الجرحى من المعتقلين، وتعيين عناصر من قوات الأمن والشبيحة كموظفين داخل المشافي الحكومية، فضلا عن قتل واعتقال الكوادر الطبية، وقصف المشافي الخاصة والميدانية.

وفي المجال الطبي وثقت الشبكة مقتل ما لا يقلّ عن (327) شخصا من الكوادر الطبية، من بينهم (166) طبيبا، و(105) مسعفين، و(56) صيدليا خلال الفترة نفسها ثلاث سنوات.

وأشارت إلى أن «إعداد هذه الدراسة استغرق قرابة (9) أشهر، قام خلالها فريق الشبكة داخل وخارج البلاد بعشرات الزيارات للمشافي، والمخيمات، وأماكن القصف، وأجرى لقاءات مع عشرات الأطباء، بالإضافة إلى مقابلات مع الجرحى أنفسهم للحديث عن كيفية الإصابة»

ودعت الشبكة في توصياته مجلس الأمن، إلى ضرورة فرض منطقة حظر طيران فوق المناطق الخارجة عن سيطرة القوات الحكومية، كي تتوقف عمليات القصف، باعتبارها السبب الرئيسي في سقوط أعداد يومية هائلة من الجرحى»، وناشدت المجتمع الدولي، والأمم المتحدة، بوقف تمرير المساعدات للحكومة السورية بعدما ثبت مرات عديدة قيامها بتسييس تلك المساعدات، وإعطائها لقوات النظام والمناطق الموالية له بنسبة تفوق ما يقدم للمحتاجين فعلياً.

جريحة سورية في إحدى المشافي اللبنانية

اقتصاديون سوريون: إدارة الحكومة الاقتصادية مفصولة عن الواقع وتسيء لسوريا واقتصادها

■ ريان محمد - دمشق

سوق منطقة باب سريجة في العاصمة دمشق

أعرب عدد من الاقتصاديين السوريين، لـ«سوريتنا»، عن امتعاضهم من إدارة الحكومة السورية للاقتصاد السوري، وعدم شفافيتها فيما يخص الأرقام والمؤشرات الاقتصادية، إضافة إلى التصريحات الإعلامية، التي تحمل أرقاماً غير معروفة المصدر، تسيء لسوريا واقتصادها.

واعتبر اقتصاديون، طلبوا عدم ذكر أسمائهم للأسباب تتعلق بأمنهم، أن «تصريحات الحكومة وعلى رأسها رئيسها وائل الحلقي، في الفترة الماضية، كانت مفصولة عن الواقع، وهذا ينم عن ضعف الإدارة وعدم أهليتها»، قائلين «لو كنا في دولة مؤسسات وأقر رئيس الحكومة فيها أن، موظف القطاع العام يعمل 22 دقيقة في اليوم، في حين يبلغ عدد موظفي القطاع 2.5 مليون موظف، منهم نحو 75٪ متغيبين عن عملهم ويتقاضون رواتبهم، في إشارة إلى وجود حالة من الفساد والتسيب، كان أجدر به أن يقدم استقالته، على أن يحال هو والصف الأول في الإدارة إلى القضاء».

كما أبدوا استهجانهم من هذه الأرقام، قائلين «لو سلمنا جدلا بصحة هذه الأرقام، يعني ذلك أن عدد الموظفين الذين مازالوا على رأس عملهم يبلغ عددهم نحو 625 ألف موظف، وإذا احتسبنا عدد الموظفين الذين ينجزون عمل موظف واحد يعمل 8 ساعات كاملة يوميا، نكتشف أنهم 21 موظف، وهذا يعني أن من يستطيع تشغيل القطاع العام في سورية هم أقل من 30 ألف موظف».

ورأوا أن هذا التصريح قد يقرأ بعدة أوجه «أولا، والذي قد يكون الأكثر إيجابية، أنها جهل وعدم معرفة بالواقع الاقتصادي السوري، أما ثانيا فقد يكون الهدف إعلامي لتخفيف ضغط الموظفين المطالبين بزيادة رواتبهم، جراء ارتفاع الأسعار الجنوني، ما زاد من أعبائهم المعيشية، وجعلهم عاجزين عن تأمين أساسيات حياتهم اليومية».

وتابعوا «ثالثا، وهو الأخطر، فقد يكون الهدف الإساءة للقطاع العام، وتصوير القطاع العام على أنه مؤسسة فاشلة، بهدف بيعه أو خصخصته بشكل كلي أو جزئي، ضمن ما يتم الحديث عنه من إعادة إعمار وما يأتي من التزامات سداد الديون».

ولفتوا إلى أن «الشفافية الاقتصادية في سورية هي الأدنى عربيا، حيث تعتم الإدارة الاقتصادية على الحقائق الاقتصادية، وفي كثير من الأحيان تعتمد على الإعلان عن أرقام عامة، ولا يمكن اعتمادها كمؤشرات»، معتبرين أن «هذا يحول دون إنجاز أي تحليل دقيق للواقع الاقتصادي، إضافة إلى الضغوط الأمنية».

وبينوا أن «الإساءة لم تقتصر على القطاع العام بل أيضاً للقطاع الخاص، من تجار وصناعيين، عبر تحميلهم مسؤولية رفع الأسعار بشكل كامل، مغفلين بيئة العمل الحالية في سورية، من رفع الحكومة لأسعار تكاليف الإنتاج، وتردي الأوضاع الأمنية».

وأضافوا أن «الحكومة فشلت في إدارة سعر صرف الليرة، ما تسبب في ارتفاع الأسعار بشكل جنوني، وخسائر للكثير من رجال الأعمال، عبر تآكل رأس المال، أضف إلى ذلك القرارات الاقتصادية، التي خدمت فئة قليلة من المتنفذين، كقرار جدولة القروض الأخير، والذي لم يستفد منه سوى ستة أشخاص، من بين مئات المتعسرين ماليا».

وقالوا إن «الفريق الاقتصادي يعتمد منهج التجريب والمعالجة الآنية للاحتياجات، وهذا ملموس بشكل واضح عبر تكرر الأزمات الاقتصادية والاختناقات المالية في فترات زمنية متلاحقة ومتقاربة»، مبينين أن «الأزمة تسببت في اختلال توازن توزيع الدخل، ففي حين تزداد ثروة قلة من المتنفذين إضافة إلى الطبقة الحاكمة، يزداد فقر الملايين من السوريين».

وأوضحوا أن «السوريين يعيشون اليوم في ظل اقتصاد حرب، وسوق منفلته احتكارية، ما تسبب في تمركز ثروات جديدة بيد مجموعة صغيرة من داعمي النظام السياسي، وزيادة عدد الفقراء السوريين.

وكانت تقارير أممية بينت أن 18 مليون سوري تحولوا للعيش تحت خط الفقر، في وقت ارتفع معدل البطالة إلى 50٪، وتقدر خسائر الاقتصاد السوري بأكثر من 200 مليار دولار حتى نهاية العام الماضي، في حين تتواصل المواجهات العسكرية، ما يؤدي إلى مقتل العشرات يوميا، دون ظهور بوادر لحل يحقن دماء السوريين ويحقق مطالبهم بالحرية والعدالة.

فكر وليس كفر
قراءة في العلمانية وشرط الحياد الديني

■ ياسر مرزوق

في عدد سابق من سوريتنا قدم الزميل فارس حسّان مادة بعنوان العلمانية والمواطنة، وعلى صفحة التواصل الخاصة بالجريدة توالت الردود على اعتبار أن الكاتب ارتكب خطأ منهجياً في المقال المذكور كون العلمانية جاءت تتويجاً للصراع بين العلماء الغربيين رداً على تسلط الكنيسة في أوروبا، وكون الإسلام لا يمتلك كنيسة فالمصطلح بالتالي غريب وغير مناسب لمجتمعاتنا، وكأن الإسلام لم يعرف في تاريخه صراعاً بين أهل النقل والعقل، ولم تحرق كتب ابن رشد أو غيره ممن بنت الحضارة الغربية مجدها على آثاره، وكأن كل ما هو منجز تاريخي أو فلسفي مرفوض كونه صنيعة الغرب ولا يحترم خصوصيات مجتمعنا.

يقول ابن تيمية الذي عاش بين القرنين 13/ 14 م في كتابه «درء التعارض بين العقل والنقل»: «إن ما هو ثابت بالسمع فهو ثابت سواء علمنا بالعقل أو لم نعلم بثبوته لا بالعقل ولا بغيره، وإذا كان الشرع يقوم على السمع فيجب تقديم الشرع عند التعارض مع العقل، وتقديمه أيضاً عند التعارض مع إجماع الأمة، لأن الإجماع يستلزم طاعة العقل للسمع.. وهذه الطاعة تستلزم تنازل العقل عن استعمال المجاز في تأويل النص الديني، لأن النص لا يقبل المجاز، ولهذا فمن يخرج عن الإجماع يكون موضع تكفير بالضرورة».

في ملفنا اليوم قراءة للعلمانية بوصفها فكراً وليس كفراً، فوفقاً لمجلة البعث الإسلامي، العدد9، المجلد 39، جمادى الأولى 1412هـ، قال الشيخ أبو الحسن الندوي، في ندوة نظمتها جمعية المثقفين المسلمين في الهند عام 1991: «لو فقدت البلاد لا قدر الله العلمانية والجمهورية واللاعنف، سوف لا تبقى البلاد كما هي.. إن العلمانية تشبه شجرة لا تقربها الحيات والعقارب والدويبات السامة الأخرى، وإنها ضمان لسلامة الشعب الهندي وسلامة البلاد».

عن العلمانية

لا شك أن الديمقراطية والعلمانية وحقوق الإنسان ومجموعة القيم الملازمة لها مثل المواطنة وحريات المواطن وحقوقه، قد ظهرت في البداية في الغرب الأوروبي الرأسمالي، وهناك من يرفضها مباشرة أو مداورة بحجة أنها ليست من عندنا معروف على سبيل المثال أن القيم الإنسانية الكبرى والقيم الجديدة الحاسمة في تطور البشرية والحركات التاريخية العظمى التي غيرت وجه العالم ظهرت في مواقع متنوعة وفترات متعددة ومتباعدة في الزمان والمكان، نشأت المسيحية ونشأ الإسلام في منطقتنا وعلى طرفنا من البحر الأبيض المتوسط وليس في أوروبا، وفي عمليات التبادل الحضاري والتفاعل الثقافي المديدة سلماً وحرباً وفتحاً، أخذت أوروبا المسيحية من عندنا كما أخذنا نحن منها عصر النهضة وعصر الأنوار والحداثة الأوروبية عموماً، بعبارة ثانية أعطيناهم الكثير وأخذنا منهم الكثير، ونحن نفاخر بما أعطينا للأوروبيين ولا يعيبنا أن نكون قد أخذنا عنهم ومنهم أو إن هم فاخروا أيضاً بأنهم أعطونا الكثير.

إذا كانت العلمانية والديمقراطية أو الليبرالية أو فكرة حقوق الإنسان، قد نشأت كلها في أوروبا، فهذه واقعة تاريخية تمكنت من أن تتحول إلى نموذج عالمي تاريخي تماماً كما حصل مع الإسلام الذي بدأ بمدينتين صغيرتين في الصحراء على حافة الامبراطورية الرومانية ثم تحول إلى نموذج عالمي تاريخي، وكذلك الحال بالنسبة للمسيحية التي نشأت في مقاطعة رومانية مهملة اسمها فلسطين وتحولت فيما بعد إلى نموذج عالمي تاريخي.

وكون مسألة مثل العلمانية وما يرافقها من قيم قد جاءتنا من أوروبا أولاً لا ينتقص من أهميتها أو تقدمها أو تقدميتها، أو من دورها المطلوب في حياتنا المعاصرة، أضافة إلى أن تاريخنا الحديث كله غير قابل للفهم بمعزل عن أوروبا وعن التاريخ الأوروبي الحديث، تماماً كما أن تاريخ إيران مثلاً غير قابل للفهم بعد الفتح الإسلامي وانهيار الامبراطورية الفارسية القديمة بمعزل عن العرب والإسلام، أوروبا اقتحمت التشكيلة العثمانية الإسلامية القائمة يومها بطريقة تشبه الاقتحام العربي الإسلامي للتشكيلة الفارسية التي كانت قائمة قبلاً، وفي الحالتين لم يعد بالإمكان فهم التاريخ المحلي بمعزل عن عملية الاقتحام هذه وما ترتب عليها من آثار هائلة على كل من حياة المجتمعين المعنيين.

العلمانية والديمقراطية والحريات وما يرافقها من قيم وإجراءات بغض النظر عن مكان نشوئها ومواقع تطورها تحولت إلى نموذج عالمي عليه إجماع واسع وهائل، حتى خصوم وأعداء هذا النموذج، حين يقعون ضحايا اضطهاد خصومهم يلجأون إليه ويحتمون به، وينطبق هذا بصورة خاصة على الإسلاميين الذي يرفضون العلمانية والديمقراطية ومساواة الرجل بالمرأة..الخ، على اعتبار أنها كلها غير إسلامية، وبعضهم يعتبرها نظام كفر، لكنهم يحتمون بقيم هذا النظام ويلجأون إليها في اللحظة التي يقع التنكيل عليهم وبهم، عندها فقط يصبح للعلمانية أهمية ومعنى لديهم، فعند المساس بالحريات الدينية في فرنسا مثلاً يلجأ الإسلاميون للقضاء الفرنسي الذي يفترض عليه إنصافهم عملاً بمبدأ علمانية الدولية وحيادها الديني.

في تعريف العلمانية

العلمانية لغة: أول من استخدم مصطلح العلمانية في العالم العربي هو إليوس بقطر في معجم عربي فرنسي من تأليفه سنة 1827 م، والعلمانية لغةً لفظ مترجم عن « Secularism » بالإنجليزية أو « Secularite » بالفرنسية، وهي مشتقة من كلمة «Saeculum سيكولوم »، وتعني العالم أو الدنيا، وهناك من ينطق العلمانية بكسر العين، نسبة إلى العلم نسبة خاطئة، لأن « Science» العلم النسبة إليه بالإنجليزية: « Scientific »، وبالفرنسية: « «Scientifique.

وهناك من ينطقها بالفتح، نسبة إلى العَلْم، بمعنى العالم أي: الدنيا.

جاء في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة ما نصه: «العَلماني: نسبة إلى العَلم أي العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي».

أما اصطلاحاً: فالعلمانيّة فلسفة، وهي ثمرة تأمّلات فلسفية جاءت لمناقضة ومحاربة التصورات المثالية والدّينية، وقد استخدم المصطلح لأول مرة مع توقيع صلح وستفاليا عام 1648م الذي أنهى أتون الحروب الدينية المندلعة في أوربا - وأعلن بداية ظهور الدولة القومية الحديثة « أي الدولة العلمانية « مشيرًا إلى «علمنة» ممتلكات الكنيسة بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية أي لسلطة الدولة المدنية. وقد اتسع المجال الدلالي للكلمة على يد جون هوليوك 1817 - 1906م الذي عرف العلمانية بأنها: «الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض»، وأضاف: «لا يمكن أن تفهم العلمانية بأنها ضد المسيحية هي فقط مستقلة عنها؛ ولا تقوم بفرض مبادئها وقيودها على من لا يود أن يلتزم بها. المعرفة العلمانية تهتم بهذه الحياة، وتسعى للتطور والرفاه في هذه الحياة، وتختبر نتائجها في هذه الحياة».

وتقدم دائرة المعارف البريطانية تعريف العلمانية بكونها: «حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشؤون الأرضية بدلاً من الاهتمام بالشؤون الآخروية. وهي تعتبر جزءًا من النزعة الإنسانية التي سادت منذ عصر النهضة الداعية لإعلاء شأن الإنسان والأمور المرتبطة به بدلاً من إفراط الاهتمام بالعزوف عن شؤون الحياة والتأمل في الله واليوم الأخير. وقد كانت الإنجازات الثقافية البشرية المختلفة في عصر النهضة أحد أبرز منطلقاتها، فبدلاً من تحقيق غايات الإنسان من سعادة ورفاه في الحياة الآخرة، سعت العلمانية في أحد جوانبها إلى تحقيق ذلك في الحياة الحالية».

ويذهب محمود أمين العالم إلى أن العلمانية ليست مجرد فصل الدين عن الدولة وإنما هي «رؤية وسلوك ومنهج». وهذه الرؤية «تحمل الملامح الجوهرية لإنسانية الإنسان وتعبّر عن طموحه الثنائي الروحي والمادي للسيطرة على جميع المعوقات التي تقف في طريق تقدمه وسعادته وازدهاره». فالعلمانية لا تسقط في النسبية والعدمية ولا ترفض فكرة الكل والجوهر والروح والمطلق. ولا تُعارض الدين «بل لعل العلمانية تكون منطلقاً صالحاً للتجديد الديني نفسه بما يتلاءم ومستجدات الحياة والواقع».

كما ميز الدكتور عبد الوهاب المسيري بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة.

العلمانية الجزئية: هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، ومن ثم لا تتسم بالشمول، وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما

عمل للفنان عاصم الباشا

الاقتصاد وهو ما يُعبر عنه بعبارة «فصل الدين عن الدولة»، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت حيال المجالات الأخرى من الحياة، ولا تنكر وجود مطلقات أو كليات أخلاقية أو وجود ميتافيزيقا وما ورائيات، ويمكن تسميتها «العلمانية الأخلاقية» أو «العلمانية الإنسانية».

العلمانية الشاملة: رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة، ويتفرع عن هذه الرؤية نظريات ترتكز على البعد المادي للكون وأن المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق وأن الإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي،ويطلق عليها أيضاً «العلمانية الطبيعية المادية» نسبة للمادة والطبيعة.

ويعتبر الفرق بين ما يطلق عليه «العلمانية الجزئية» وما يسمى «العلمانية الشاملة» هو الفرق بين مراحل تاريخية لنفس الرؤية، حيث اتسمت العلمانية بمحدوديتها وانحصارها في المجالين الاقتصادي والسياسي حين كانت هناك بقايا قيم مسيحية إنسانية، ومع التغلغل الشديد للدولة ومؤسساتها في الحياة اليومية للفرد انفردت الدولة العلمانية بتشكيل رؤية شاملة لحياة الإنسان بعيدة عن الغيبيات، واعتبر بعض الباحثين «العلمانية الشاملة» هي تجلي لما يطلق عليه «هيمنة الدولة على الدين».

المواطنة والعلمانية

لأن العلمانية نشأت في الأصل في مواجهة السلطات الدينية في أوروبا، ارتبطت دوماً بالمواجهة مع سلطة دينية ما أو عقائد دينية ما. وهناك من الإسلاميين كما ذكرنا في المقدمة من يتذرع بمنطق سفسطائي يقول بما أن العلمانية قامت نتيجة المواجهة مع الكنيسة في أوروبا وبما أنه ليس في الإسلام كنيسة لا توجد مشكلة علمانية في الإسلام وديار الإسلام، مع أن مشكلة العلمانية يمكن أن تنشأ في أي مكان وبالنسبة لأية عقيدة في الاسلم كما في غيره بكنيسة أو بلا كنيسة، لأنها تخص في الأساس علاقة الدولة بمواطنيها في العصر الحديث.

تشترط دولة المواطنة علمانية الدولة ومدنية تشريعاتها لأن الدولة غير العلمانية هنا لا يمكن أن تكون دولة لجميع مواطنيها وهذا ما تحارب ضده الأقلية المسلمة في الهند لأنها تريد للدولة أن تكون للمسلمين أيضاً وأن لا تحابي الهندوس على حسابهم وحساب الأديان والمذاهب والطوائف الأخرى التي تعج بها الهند، ومع ذلك تبقى العلمانية في التطبيق العملي ناقصة حتى في أرقى البلدان وأكثرها تقدماً وديمقراطية، لكننا نتكلم الآن عن المبدأ وأي مبدأ ينجح في التطبيق العملي في أي مجتمع بحدود 80 إلى 85 بالمئة يكون قد حقق نجاحاً باهراً، رئيس الدولة في الهند مسلم على الرغم من المشاكل والمذابح والعقبات هناك، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ينتمي إلى الأقلية السوداء على الرغم من عنصرية المجتمع الأمريكي البيضاء والمتاعب التي مازالت تعاني منها تلك الأقلية، كما كان الرئيس الفرنسي المنتخب ديمقراطياً بروتستانتي على الرغم من تراث فرنسا الكاثوليكي العميق والشديد، كما أن كاثوليكياً ككينيدي وصل إلى البيت الأبيض على الرغم من بروتستانتية المجتمع الأمريكي المتزمتة.

العلمانية هي جزء من الرؤية الديمقراطية المواطنية بقدر ماهي شرط للمساواة بين الأفراد في القانون وأمام المجتمع أي تحييد دور الدولة الديني بمعنى أن لا يكون للدولة دور ديني وألا تدعم السلطة السياسية جماعة دينية ضد أخرى، وهو ما يمكن أن نسميه اليوم بالحيادية المذهبية للدولة الذي يشكل شرط تعاملها مع مواطنيها بالتساوي وكأفراد متساويين ومن دون النظر إلى أصولهم الدينية، والدولة الحديثة دولة المواطنين، لا تتعامل مع الناس كجماعات أو مذاهب أو عشائر، بل كأفراد فالديمقراطية بالعمق وبما تعنيه من مساواة قانونية وأخلاقية بين الأفراد وفي الحقوق والواجبات، تفترض حياد الدولة الديني لكن لا تفترض محاربة الدين ولا العداء له ولا تجفيف منابع الايمان، فالعداء للدين هو أيضاً عمل من طبيعة دينية وتبشيرية مناقض للعلمانية.

العرب والعلمانية

تسار الكثير من الشكوك لدى الكثير من الباحثين في قدرة العرب وثقافتهم على تقبل القيم العلمانية، وما هذه التساؤلات إلا دليل على أزمة العالم العربي الراهن نفسه، والأزمة الايديولوجية التي تتجلى من خلال تفاقم اختلال فهم العرب من جديد لعلاقة الدولة بالدين، واختلال مفهوم الدين ذاته، وكذلك الموقف من حرية الاعتقاد والتفكير، وطالما ترفض الدول العربية الاعتراف بحرية الاعتقاد، ستبقى مسألة العلمانية ومعها حرية الاعتقاد والتفكير معلقة والأزمة مستمرة، فالدولة هي التي تسن قاعدة العمل وتعبد الطريق الذي يتبعه الأفراد وإذا كانت هي أول من يخرق قاعدة حرية العقيدة، فلا ينبغي أن نتوقع من الأفراد الخاضعين لسلطتها والمجبرين على مسايرتها أن يكونوا أكثر حرصاً على التعددية الفكرية وفصل الاعتقادات الدينية عن العمل السياسي.

مشكلة العالم العربي ليست انعدام العلمانية بل تغول الدولة على المجتمع، وعندما تحل هذه المشكلة وتكف الدولة عن اغتيال العقل وإلغاء الضمير وقتل الروح وغل أيادي الأفراد وأفئدتهم، وبعث الغل في صدورهم، سنجد الناس يتعاملون بتسامح أكثر على المستوى الديني والمذهبي والسياسي، وعلى مستوى تعامل المجتمع بين مكوناته، وتعامله مع الدولة وتعامل التيارات الفكرية المتعددة والمتباينة فيما بينها وتعاملنا جميعاً مع الخارج المختلف عنا، فجوهر العلمنة في العمق ليس شيئاً آخر سوى إخضاع جميع المؤسسات والنشاطات والقوانين والقيم والسلوكيات الاجتماعية للنقد وللمحاكمة العقليين، وإزالة أي نوع من التقديس عنها، ومن هذا الإخضاع للعقل ينبع استقلال المجتمعات الإنسانية وحرياتها اتجاه واقعها ومصيرها وهذه هو جوهر العلمنة التي تعني أن الواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه ليس قدراً ولا ثمرة منطق قدري لا يرحم، إنما هو ثمرة وعينا وعملنا.

عمل للفنان: بطرس المعري

الدكتوراه قبل القيادة والمناصب

■ خالد قنوت

في بداية سيطرة رفعت الأسد شقيق حافظ الأسد على مفاصل الدولة السورية قبل نفيه خارج سورية، كانت السيطرة على الجامعات والكادر التعليمي فيها من أهم أهدافه وكان من المفروض له قبل أن يدخل في هذا المجال أن يجد جواز سفره لعبور بوابة التعليم العالي فما كان منه سوى أن حصل على درجة الدكتوراه وأظن بالتاريخ من إحدى الجامعات المغمورة وقد كتب له رسالة الدكتوراه جار أهل زوجتي في مدينة جبلة، وأظن أنه من عائلة خيربك، بعد ذلك استولى على مركز الدراسات العليا التابع لوزارة التعليم العالي وصار يتحكم بتفاصيل الوزارة وبالتعيينات لكل كوادرها العلمية متقصداً التعيين والإقصاء الطائفيين.

روى لي أستاذي والمشرف على مشروع تخرجي الدكتور شوقي البطل أنه عندما كان عميد الكلية جاءه أحد المرشحين من قبل هيئة الدراسات العليا للانضمام للكادر التعليمي في الكلية وكالعادة يقوم عميد الكلية بمقابلته والتأكد من وثائقه العلمية والبحثية ثم يناقشه فيها قبل أن يقبل طلبه كمدرس جامعي. رفض الدكتور شوقي البطل قبول هذا الرجل بسبب عدم ثقته بالوثائق ولا بالجامعة التي أصدرت درجة الدكتوراه له وأكد لي أن أي طالب في كلية الهندسة الكهربائية يفهم أضعاف ما يفهمه هذا القادم بشهادة دكتوراه بالهندسة الكهربائية. في اليوم التالي اتصل به أحد ضباط سرايا الدفاع من مكتب الدكتور رفعت الأسد مهدداً ومتوعداً فما كان من الدكتور شوقي البطل إلا أن قبل الطلب وبعدها اكتفى بتدريس مادة وحيدة في السنة الخامسة في قسم هندسة الطاقة بينما كان الدكتور المدعوم يدرسنا مادة أخرى وكان من الممكن لأي طالب أن يكتشف تواضع أدائه العلمي.

حمى درجة الدكتوراه سعرت بوصول بشار الأسد إلى سدة الحكم في سورية مع أنه علمياً هو طبيب ولا يحمل درجة الدكتوراه وصار لأي طامح أو طامع لمنصب وزاري أو أمني أو سياسي في سورية أن يحصل على درجة الدكتوراه قبل أي شيء آخر فكانت جامعات دول أوربة الشرقية ثم الجامعات اللبنانية والسورية أفضل الوجهات للحصول على الدكتوراه عن طريق الضغط أو الرشوة وكذلك جامعات بعض الدول الغربية المغمورة وغير المعترف فيها دولياً عن طريق شرائها بالمال.

يمكن لأي متتبع للمسؤولين السوريين الذين يضعون قبل اسمائهم كلمة دكتور، أن يبحث عن أصل هذه الدرجة العلمية وعن الجامعة التي أصدرتها والبحث العلمي المقدم ليعرف أنها دكتوراه مزورة وهي جريمة موصوفة بحق أي مجتمع يحترم نفسه ويحترم العلم، فعلى سبيل المثال ليس إلا، كان رئيس الوزراء السابق مصطفى ميرو ومحافظ حلب الفأسد سابقاً يملك درجة الدكتوراه باللغة العربية من دولة أرمينيا وحسب المعلومات فإنه لم يزر أرمينيا إلا وهو بصفة رئيس الوزراء السوري الدكتور مصطفى ميرو.

الطغمة الكبرى، أننا يوماً بعد يوم نقرأ عن شهادات علمية عالية مشكوك بمصداقيتها لبعض أعضاء ما يدعى أنه قيادة المعارضة في المجلس الوطني وفي الائتلاف وكأننا في حالة استنساخ لمسؤولي البعث في سورية القائمين على السلطة؟؟

في دراسة تحليلية نفسية، ولو متواضعة، نرى مدى الخراب النفسي الذي نجح النظام في إحداثه حتى في صفوف من يعتبرون النخبة العلمية في سورية وفي السوريين في الداخل وفي الخارج وصار طبيعياً أن يصدق الجميع ما يقوله أي مسؤول أو معارض عندما يكنى بدرجة الدكتوراه (حتى ولو كان طبيباً فقط)، حتى لو كان كلامه غير علمي وغير منطقي. صارت لصفة الدكتور مصداقية وموثوقية أولية قبل أن نقرأ ونحلل ما يقوله صاحبها وقبل أن نتأكد من حقيقة درجته العلمية التي يصر على إظهارها للجميع.

و نتساءل، هل كان أهم ثوريين العالم يحملون بالضرورة شهادات علمية عالية ليكونوا قادة لشعوبهم ويحققون النصر؟ من لينين إلى هو شي منه، إلى ماو تسي تونغ، إلى دانتون إلى سلفادور الليندي وإلى تشي غيفارا الذين كانا طبيبان ولا يحملان درجة الدكتوراه، هذه العقد النفسية والعصابية لا تصيب سوى أصحاب النفوس الضعيفة والتي بالضرورة هي حالة ارتزاقية وطفيلية على المجتمعات فكيف على الثورات وبالتأكيد هم أكثر الأشخاص القابلين للمزاودة والعبث بمصائر الناس والوطن لأنهم تسعون لصالحهم الشخصية الضيقة.

منذ اليوم الأول كان على أي مؤسسة معارضة سورية تعمل بالخارج أن تصارح السوريين بتاريخ ومهنية ومالية كل معارض يعمل فيها وأن يعرف الجميع مصادر رزقه وتعليمه وتاريخه السياسي بكل شفافية وصدق ودون خجل لأن ما يبنى على باطل فسينتج باطلاً وإخفاقات وهزائم. في أي دولة متحضرة تقوم على المؤسسات والشفافية يقوم أي مسؤول بتقديم سيرة ذاتية عن حياته وعن كشف بحسابه البنكي في الداخل وفي الخارج وعلى مسؤوليته الشخصية وتحت طائلة المساءلة والملاحقة القانونية في حال التلاعب أو عدم المصداقية وهنا أذكر لكم بأن هذا ما كانت عليه سورية في خمسينيات القرن الماضي حيث كان على كل مسؤول أن يقدم كشف بحسابه المصرفي قبل استلام المنصب وبعد انتهاء منه، حتى وصول البعث إلى السلطة.

سورية الجديدة التي نريدها جميعاً، دولة متحضرة تقوم على المصداقية والعدالة وعلى أكتاف أصحاب الكفآت العلمية الحقيقية والوطنيين الشرفاء جميعهم بدرجات علمية وبغير درجات علمية، هدفهم بناء وطن عصري ومتقدم وفاعل في هذا العالم الذي يقييم كل دولة بما تملك من عمل وعلم وعلماء وابحاث علمية وبأصحاب درجات علمية عالية حقيقية وليس مزيفة.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1991 - 1994

تشرين الأول 1991

اليوم الأول 10/1

منذ شهر مر يومان باردان، فخلنا أن الشتاء سيأتي باكراً هذا العام، لكنه اعتدل، وارتفعت درجات الحرارة وعدنا نطلب الماء البارد، فنحصل عليه بواسطة أوعيتنا (البلاستيكية) التي نحيطها بقطعة قماش مبللة ونضعها أمام تيار هوائي.

الروايات التي قرأتها حتى الآن تحمل خيالاً هائلاً، ولكنها لا توازي هذا الواقع الذي نعيشه، ونتساءل: - عندما نخرج كيف لنا أن نتلاءم مع هذا الخارج؟

اليوم الثاني 10/2

أثناء نومي رأيت نفسي أمام لجنة التحقيق، وأدخل في سرداب، وأنحني تحت قناطر متتالية، وأجدني أدور وأعبر ممراً بعد ممر. وجوه تمر سريعة أمامي وهي متغضنة، ومقطبة، وأنا أنفتل أمامها.

اليوم الثالث 10/3

جاءت تسع زيارات من السلمية دفعة واحدة، وأصحابها: - أكرم زعير، وعبد الله الدبيات، وهيثم قطريب، والأسمر، وظافر النجار، والأخوان استانبولي، والأخوان علوش. فرحوا وضحكوا تحدثوا عن الأهل وكأنهم يرونهم لأول مرة، انطلقت في المهاجع رائحة الأطعمة من الخارج: - فطاير، وخبز بلدي وفراريج وصفائح. امتلأت المهاجع بالمهنئين .

إنها الصلة بالعالم الخارجي.

اليوم الرابع 1/4

حلقات الدراسة، وحلقات اللغات تواصل أعمالها، بالنسبة لي أغرق في عالم القراءة، أعيد قراءة كتيب (كاسترو) عن الديمونية، كما أقرأ كتاباً للمفكر الماركسي سمير أمين (الطبقة والأمة) المطبوع في فرنسا عام 1965 والمترجم في دار الطليعة عام 1969 , إنه كتاب إبداع ضد الفهم الدوغمائي للماركسية كسياسة ودولة، وضد الفهم الرأسمالي القائم على الاستغلال والفوقية . كما أنني أقرأ: - سيكولوجية الإنسان المقهور للدكتور مصطفى حجازي، أما بالنسبة للأدب فقد أنهيت البارحة (كتابة على وجه الريح) للشاعر المصري صلاح عبد الصبور، كما أعدت قراءة (بيت في المرتفعات) لأرسكلين كالدول، وبدأت هذا اليوم بقراءة رواية (الطاعون) لألبير كامو.

اليوم الخامس 10/5

حملت إحدى الزيارات خبراً مفاده أن السيد وزير الخارجية الأمريكية /بيكر/ أثناء زيارته للقطر اجتمع مع مسؤولين طلبوا منه أن تشطب دولته سورية من لائحة الإرهاب . فأجاب بكل وضوح أن حكومته لا تستطيع تلبية الطلب ما دام النظام الحاكم يحتفظ في سجونه بآلاف المعتقلين السياسيين ومنذ أكثر من عقد من الزمن، الخبر لا يفصّل ولا يبيّن مكان الاجتماع ولم يعرّف من هؤلاء المسؤولين.

وانطلقت بعض السخريات القائلة إن أمريكا ستخرجنا من السجن !!! لكن تعليق / الأوكومينتس/ البارحة من إذاعة لندن قال: - إن انكلترا وأمريكا ليستا جادتين بالضغط على أنظمة الاستبداد في الوطن العربي.

اليوم السادس 10/6 والسابع والثامن والتاسع والعاشر

أخذوا التفقد باكراً لوجود عطلة، والمناسبة هي تحرير الأرض . فكلما حررنا جزءاً خسرنا قطراً. بهذا المعنى خاطب الشاعر أحمد فؤاد نجم السادات

يا سادات كفينا نصر رجعت سينا وراحت مصر

في الساعة الحادية عشر جاء زوار إلى جناحنا من الاتجاه الديني ومن اتجاه العراق وهم:

1 - إبراهيم الحاج حسين من الرقة، مواليد 1940، معتقل منذ عام 1980 وأمضى في تدمر 7 سنوات ونصف، كان موظفاً في دائرة الكهرباء واجتاز سنوات ثلاث في كلية الفلسفة، متزوج من معلمة في حلب وله ابنة وحيدة، عمرها الآن 13 سنة، عندما اعتقل تعرض للضرب المبرح في تدمر.

2 - عبد الكريم الضويحي: - من الميادين، كان معاون مدير تربية في الرقة، معتقل منذ عام 1985، أمضى خمس سنوات في تدمر وخلالها لقي الكثير من العذاب.

3 - شفيق طبره من مواليد 1955، كان موظفاً في سادكوب، هو من حوران، له أخ اعتقل معه عام 1983، صحافي، عمل في جريدة الاشتراكي ومن ثم في تشرين ثم في الإذاعة مسؤولاً عن برنامج (شتم العراق) وكلا الأخوان عازب، وقال عن أخيه: - أنه قدم لمحاكمة ميدانية، وحكم مؤبداً.

4 - فارس سالم، من حماه ومن مواليد 1951، معتقل منذ عام 1977، وكان يدرس في جامعة بغداد – رياضيات صف ثالث.

5 - إبراهيم السيد حمود من الحسكة مواليد /49/، كان ملازماً أول سرح في 1978، واعتقل عام 1981، ظل في سجن تدمر 7 سنوات.

6 - إبراهيم مؤنس: عازب، من قرية /ضهر صفرا/ التابعة لطرطوس، مواليده /1955/ وهو معتقل منذ عام 1978 وعازب.

7 - محمود جلود: من قرية /كفر زيته/ الغاب، معتقل منذ عام 1978، وكان نزيل سجن المزة.

8 - أحمد أكرم من قضاء جسر الشغور وهو مختار لقرية تدعى: - الملبد مزارع، اعتقل عام 1977 مع مجموعة عددها 22 أعدم منهم أربعة عشر، وتحول الباقون إلى تدمر ظل دون زيارة أكثر من عشر سنوات، ونال قسطاً وافراً من التعذيب، وهو مسجل لصالح الانتفاضة الدينية.

9 - محمد ديب وهبه: معتقل منذ عام 1981 ضابط نقيب من /معرة الأرتين/ محافظة إدلب.

10 - جمال الديليمي (أبو طريف) من بلدة البوكمال الحدودية ينتمي إلى عائلة تجارية، وأحوال أهله المادية جيدة، ويحمل الثانوية وهو من مواليد 1957، معتقل من قبل القوات الجوية عام 1985، وكان تحت الأرض في /برج الروس/ وقد جاءته زيارات خاصة.

لماذا على سوريا أن «تنتخب» بشار الأسد؟

■ إلياس إلياس

كل ضجيج يصدر عن سلطة دمشق هذه الأيام، سواء كان من ذات النمط البروباغاندي، الغارق كالعادة في استعارات تجميلية، أو من مثلث السياسي - العسكري - الأمني، من ذات الاستعارات التي لم تتغير منذ ثلاثة أعوام ونيف، هو ضجيج يستهدف غير السوريين والسوريات.

كل الاستعارات الشعاراتية مفككة ومتساقطة، مهما برعت ريشة ذات «الإعلام» في تصديرها بهفوات تشبه وجه طفلة مرعوبة خلف قضبان سجن حلب المركزي، مُسقطة بضربة واحدة سخافة « إنجازات» ميليشيا وعصابات بشار ومن بات يتطلع، من مستوردي المرتزقة المأزومون، إلى نهاية كابوس طائفي ذكرنا به عشرات المرات.

ثمة سرد لهذا الوهم المستمر بالتدفق إلى عقل من يظن بأن قدر سوريا مربوط بهوس «انتصار» على أطلال سوريا وإنسانها المحطمين، السرد بأشكاله المختلفة يشبه تلك العبثية التي تتلفت حولها متوجسة من قذيفة تصيب « خيمة عرس الديمقراطية»، المقام على عند حطام يراه أركوزات بشار، مرشحيه للرئاسة ووزراء في لعبة التجميل: بفعل العصابات المسلحة لم يعد للسوريين، وربما أكثر السوريين حتى سقف منزل.

في سيرة الطغم العسكرية، وهي تمارس الدور الأبوي، كل هزيمة تصير إلى انتصار، طالما أنها ما تزال تجمل ذات الاسم، جيشا كان أم مؤسسات أمنية ينخرهما الإجرام، والرشى المفروضة على الشعب لاجتياز حواجز عصابات تلك الطغمة بين شارع وآخر، بل حتى بين وسط العاصمة ومطارها.. سيرة تشي بأن « الشعب» يعشق صناعة ديكتاتوريه وقتلته.. ويهتف باسمهم ساجدا لهم كقدر إلهي حتمي، لا طائل من مواجهته.. هي سيرة تجدها منذ أشهر، مهدت لها ذات العقلية باسم « الأسد أو لا أحد»، تبشر السوريين والسوريات بحلين: إما الخضوع المطلق، وغير المشروط، لرواية أن سوريا بدايتها ونهايتها عند آل الأسد وتحالفاتهم.. أو مواجهة المزيد من الدمار والقتل المنظم في الشارع وخلف عتمة القضبان وفي التشرد المحول لنصف الشعب بلا مأوى..

حقيقة ما تطلبه العصابات التي تحكم تحت مظلة" القائد الأوحد»، الذي لم تنجب البلاد بمثل عبقريته، هو أمر ليس اختراعيا مُسجلا باسم آل الأسد فحسب، بل أي عاقل، أو شبه عاقل، يمكنه التنقل عبر التاريخ سيكتشف ذات الاستعارات، وذات الأنماط، التي اتخذتها الطغم العسكرية والفاشية لتنظيم « شرعية» الاستمرار في القبض على الحكم والتفخيم من المسميات المضحكة، والمبكية أيضاً.

يصبح الشعب السوري، وليس بالضرورة الآن عند الطغمة مناقشة « ترف» تعريف هذا الشعب، أداة للعبور إلى شرط شرعية لا علاقة لها بكل ما تم دسه في أدمغة من ساروا على هدى محرقة بقاء هوس السلطة بالسلطة، فلا السيادة الوطنية ولا سلامة ووحدة سوريا واستقلالية قرارها وخيارها الديمقراطي في تقرير مصيرها من يحدد الذي يجري في عبثية شعارات سدنة « الأسد أو نحرق البلد».

مطلوب من «الشعب السوري»، الذي تتذكر عظمته هذه الطغمة، حين تريد تصغيره إلى « حشرات « مصيرها « المعس والدعس»، أن يقول للخارج: نحن شعب معجون بالكذب.. كذبنا حين قلنا أننا خرجنا بثورة ضد ديكتاتورية وتسلط وظلامية مملكة الوراثة الأسدية.. نحن شعب معجب بديكتاتورنا مثل إعجاب شعب كوريا الشمالية بوريث جده عن أبيه.. يغضب الله علينا جفافا وبسبع عجاف لأننا رفعنا صوتنا ذات يوم نلعن روح حافظ.. واكتشفنا بأننا مجرد حفنة من المتآمرين في مؤامرة كونية كانت تستهدف قيادتنا الحكيمة.. كلنا فداء لحذاء جيشنا الباسل الذي يقصفنا وينهبنا ونحن مجرد عبيد في دولة الأسياد الذين يمارسون دور الأب في ضرب أولاده، هذه تربيتنا وثقافتنا التي لا شأن لكم بها!

بل ما هو مطلوب من شعب سوريا أن يصبح دالا على كيفية الخضوع للفاشية، داخلية كانت أم بالوكالة، فتمحى وللأبد مفردة الثورة من قاموسه وقاموس جيرانه، وصناعة الديكتاتورية في عالم لا يرى في السيادة الوطنية للشعوب من دور تصبح مهنة يمارسها أب وأم الضحية، رقصا وتصريحا وتغزلا بعيون ورقبة وحكمة هذه القيادة التي أفهمت الشعب بأنها لم تقتل وتحرق وتشوه وترتكب المذابح حتى بالسواطير وتدمر وتشرد الشعب إلا من أجل ذات الشعب..

إذا، ولماذا لا يُنتخب القاتل الذي ضحى بكل شيء من سمعته ومن جهده الذي لم يتوقف حتى بالتجويع لصناعة هدن وطنية لأجل حفنة طحين ورغيف خبز؟ لسنا أمام سردية من النوع الجديد سوى في انخراط « قوى وطنية» في ترتيبها على نحو هزلي يقدم صورة عن سوريا وعن العرب أنها وهم ليست وليسوا سوى عشاقا لزمن الديكتاتورية والفاشية تتحكم ببلادهم وراثة، كما تورث كراسي دمشقية مطعمة بالصدف في بيت عربي قديم.. كل شيء منذ بدايته كان واضحا وضوح المرحلة، وكل جوقة « العلمنة» و« القومية» والسورنة الغارقة في فاشية احتقار بسطاء السوريين بوصفهم « عربان وبعران» لا يحق لهم أن يرفعوا صوتهم ورؤوسهم إلا من خلال « النخب» المحتكرة للشعر والنص والسياسة والفن والحكمة والثورية.. وطالما أن « الرعاع» لم يتحضروا ولم يهتدوا بعد بما قدمه لهم أدونيس مثلا أو عبقري من إنتاج حافظ وآل مخلوف.. سياسة وأمنا واقتصادا وفكرا وحضارة وممانعة زاحفة على بطنها.. فهم، أي الرعاع في الرواية الأولى المتوجسة من المسجد كحجة سخيفة، لا يستحقون سوى « تشذيب» بالصاروخ والطائرة وتهجير وسحق تحت أحذية عسكر « دولة الحرية والاشتراكية».

ما عدا ذلك ليس سوى تفاصيل لا تستحق الذكر ولا التذكير بخطورتها المؤسسة لسوريا التي نراها اليوم.. نعم، قد تجد في سخافة ترشح حجار ونوري ما يشي بأن تبادل أدوار يتم، لكن مهلا، من قال إن للشعوب ذاكرة؟ لاحظ أن الحديث يدور عن « انتخابات».. انتخابات وليس استفتاء.. أي أن بشار يخاطر ويرشح نفسه نزولا عند رغبة « الشعب» العاشق لقاتله ومدمر وطنه.. لدى هذا الشعب حنين إلى الخضوع وترديد: حاضر سيدي..

بل لديه حنين إلى الرعب المسمى « أمن وأمان»، وإلى الساقين في رجفة استدعاء فرع أمني.. ولقلب يكاد يهوي من القفص الصدري حين تحط طائرة السوري في مطاره الوطني.. إلى لفلفة الإهانات والإذلال من معتوه أمني وسط الشارع أمام الزوجة والأخت والأطفال، لكي لا يتلقى المزيد من الركل والصفع وتهمة إهانة القائد وروح الخالد.. إلى بلع النهب لأراض الفلاحين وإلى رامي مخلوف يقاسم في كل مشروع.. إلى الزمن الذي كانت فيه سوريا محجا لهوايات سائحي الخليج بحثا عن هز الحجيات والروسيات يداعبن هوسا جنسيا برعاية المتحضرين من زلم بشار صعودا وهبوطا.. نعم، ليس هناك من أحد يفهم حنين السوريين والسوريات إلى زمن ما قبل الثورة أكثر من بشار وزبانية حكمه.. مهلا أيضاً، كيف لا يشتاق شعب سوريا إلى طائفية مستترة باسم العلمانية والاشتراكية؟ وكيف لا يشتاق إلى بثينة شعبان وهي تصف مظاهرات درعا بالفتنة الطائفية؟ كيف لا يشتاق ويحن هذا السوري والسورية إلى زمن كان فيه مجند/ متطوع برتبة مساعد أول يجرجر حيا كاملا باسم « القائد» فيقبل خده جاره العقيد ليلفلف الموضوع مع كمشة من « المعلوم» الذي يدسه أب سوري لأن ابنه تجرأ على رد صفعة متسلط تافه باسم ذات القائد.. الغير مسموح مسه ولو تم مس الله ألف مرة بين جملة وجملة وتنزلق من ثنايا المساعد العلماني جدا ألف شتيمة أخرى أقلها « يلعن ربه» و« يلعن صليبه».. كيف لا يتشاق السوري إلى الأيام التي كان فيها تحت الشبهة الدائمة والرعب من أن تفلت جملة التعبير عن الانفصام من طفله أو طفلته ببراءة حقيقة الانفصام بين المنزل والشارع؟

كيف لا يحن السوري إلى زمن السير عند الجدران يطلب الستر من ربه وكأنه غريب وضيف في وطنه، ويتبرأ حتى من السؤال عن أبيه واخيه وابنه حين يزوره زوار الظلام.. وكيف لا يحن إلى الزمن الذي كانت تشتعل فيه شعارات معاداة الصهيونية المجرمة والإمبريالية الأميركية بينما عتاة رجالات السي أي إيه واللوبي الصهيوني ضيوفا عند « الرئيس الممانع» وزوجته.. ورئيس الأركان يفعلها، كما لم يفعلها أي ضابط في جيش كيم إيل سونغ في كوريا الشمالية التي تعتبر قبلة عمران الزعبي في التشبيه، متلقيا تقاعده في ذات بلاد الإمبريالية الأميركية.. كيف لا يحن السوري إلى زمن وقوفه بذل في دوائر « حكومته» يلقي ما في جيبه المخروم تلك الرشوة لتسيير معاملة هي حق لكنها في سوريا تسمى « تسليك» وثمن « سندويشة».. موظفو الدولة يصبحون موظفون عند المواطن المسحوق يحلبون ما لديه لخبز وحليب أطفاله..

بل كيف يتجرأ البعض على رفض استمرار بشار ريثما يصبح ولي العهد في السن المناسبة لتعديل دستور ترسيخ الوراثة؟ الشعب السوري يجب أن يمتن، في تلك السردية، لأن بشار وزبانيته يتنازلون إلى هذا

إحدى اللافتات المؤيدة للأسد في اللاذقية | أيار 2014

المستوى لقبول تجديد حكم « الرعاع» وإعادة الاختلاط بين « المتحضرين» من شعبه بهؤلاء المنبوذين الذين يؤدبهم ببراميله وسواطير بواسله ومرتزقة الطائفية من العراق ولبنان وما بعدهما.. الشعب السوري عليه أن يقبل الأرض التي يسير عليها ذات الحذاء العسكري الذي أشبعه ركلا ورفسا متهكما على « الحرية».. عليه أن يصير مثل تلك السيدة التي قالت ذات يوم: أنا نادرة ندر.. سأحمل البوط العسكري على رأسي وراح دور فيه سبع دورات في ساحة الأمويين.. وراح نزف أحلى عروس، التي هي سوريا، لأحلى عريس سيادة الدكتور بشار».. ذلك قول اختزل السردية كلها.. سوريا ليست سوى عروس يتنازل شعبها لتزف لبشار.. وفي ثقافة « البوط العسكري» وثقافة « البقلاوة» تكمن سوريا التي يريدها هؤلاء الذين يقدمونها في صورتها المشوهة.. عقلا وواقعا.. ليس لأجل تعقل بقية السوريين من مثل اجتراح « الانتصارات» في مسجد خالد بن الوليد وفرح صبية تهذي بما حُشي به العقل الباطني لبثينة شعبان، الراغبة بزيارة قبر أمها على مسار من قبور سوريي سوريا، فحمص « بلا سنة» أحلى، على ما نقل تلفزيون « القائد الحكيم» مطلقا فرح مواطنيه ومواطناته بانتصارات على سوريين وسوريات كانوا يسمون بلغة الجعفري في مجلس الأمن: بضعة مئات من إرهابيين من الخارج..

مهلا.. مهلا.. ومن قال بأنها ليست الحقيقة؟ أترى خللا في الرواية؟ كل هذه الملايين التي تراها في معسكرات اللجوء والغرقى في بحار المتوسط ليسوا مع ملايين المهجرين داخل « سوريا الأسد» سوى بقايا استعمار « بدوي متخلف».. وبضاعة البداوة ترد إليهم.. السوريون هم فقط ذلك النفر الذي تحميه ثقافة البقلاوة والبوط العسكري، هم تلك « الأقليات» التي تتربص بها، منذ فعلة عاطف نجيب في تأديب « متخلفي البداوة في درعا»، بقايا « الاستعمار العربي» لسوريا.. أصلا كل رواية العروبة لا تصمد بلا حافظ الخالد وبشار صاحب العقل الحكيم.. العرب «الأنقياء» المستحقون للمواطنة في فترة ما بعد انتخاب بشار هم هؤلاء الذين حرموا الأكراد من حقوقهم ونكلوا بالمسيحيين باسم العلمانية وهجروهم بمئات الآلاف في ظل حكم القائد الخالد.. هم أصحاب شعارات الصهر والطحن في سجون المزة وتدمر وصيدنايا وكركون الشيخ حسن وكل السجون السرية.. هم العرب « الأنقياء» أصحاب شعارات إذابة في الأسيد لليد التي تتكاول بكلمة على القائد الخالد وتنسف جسد مثقف كسمير قصير وشيوعي كجورج حاوي وزعيم وطني ككمال جنبلاط.. هم الذين افتتحوا في عنجر مسلخا» لعملاء الصهيونية».. وهم الذين حرثوا سوريا من شمالها إلى جنوبها طردا ونفيا واعتقالا لكل من تجرأ أن يوهن عزيمة الأمة كأمثال الماغوط وونوس وقباني والمئات والآلاف من نخب سوريا.. هم « الأنقياء» الذين دفعوا السوريين، كادحين ومتعلمين، للهجرة بحثا عن عمل ورعاية لمواهبهم في أجواء غير أجواء سوريا بلد « التقدم والاشتراكية» في ظل القيادة الحكيمة للجبهة الوطنية التقدمية.. هم الذين عرفوا كيف يجعلون ملايين السوريين والسوريات يموتون في اغترابهم بحثا عن لقمة عيش بكرامة..

ومن قال لكم بأن الحجار والنوري لا يعرفان ذلك؟ الاثنان ينافسان بشار لأنهما يدركان بأن « العرس الديمقراطي» نتاج للعقل الفذ الذي يتمتع دونا حتى عنهما الاثنان عقل بشار الأسد ابن « الزعيم العربي الكبير» الذي قال عنه عبد الناصر ما لا يقتبسه عروبيي زمن العهر في أيامنا.. حمدين صباحي في مصر يرتدي الغطاء الناصري ليصبح السيسي رئيسا لأنه « أنقذ مصر» من نفسها الإمارة بالحرية والكرامة والديمقراطية.. والثنائي حجار ونوري يقولان لأميركا: أيتها الإمبريالية، موتي قهرا.. نحن نفتتح جامعات تقتبس اسمك.. جامعات خاصة تنهب وهي تشير إلى تهلهل مستوى التعليم الأسدي.. ورغم ذلك نقول لك موتي قهرا.. فحجار الشيوعي صاحب تاريخ عريق بالفتاء الديني السني من جهة العائلة.. فلتموتوا قهرا أيها العلمانيون والشيوعيون.. الحجار ينافس القائد..

ولماذا لا ينتخب الشعب السوري بشار رئيسا أبديا ويبصم له البعض بالدم حين يضع كفه على ركام سوريا النازفة؟ لأنه يا أخي سوريا « تتعرض لمؤامرة كونية» يتدفق إليها كل السلاح الحديث ليحمله الإرهابيون ويسقطون طائرات بلدك ويدمرون بيتك ويعتقلون أخيك وابنك ويعيدون إليك هويته الشخصية كدليل موت تحت التعذيب.. وكل ما يفعله فقراء الجيش الباسل أن يهتف تكبيرا مع دواعش بشار المتحول إلى « أمير المؤمنين» لإقامة الحكم الرشيد على أنقاض دولة الفساد والإفساد..

كل سرد لا يركز على الغرب وتل أبيب هو خاسر.. ولذا، لا يهم من ينتخب من الشعب.. ولا يهم من يقتنع بديمقراطية آل الأسد ومخلوف وشاليش وعاطف نجيب وعلي مملوك والحلقي وعمران الزعبي.. ما يهم أن « الدكتور بشار» يخطط لعالم جديد مع طهران وروسيا.. وإن كان مشهد نيل رضا الغرب وتل أبيب هو عنوان كل هذا « العرس الديمقراطي» المطلوب منك فيه أن تبصم بالدم وبالعشرة جثث هذا الشعب لأبو حافظ..

أضحك العالم وبكى وحيداً

نهاد قلعي 1928 - 1993

■ ياسر مرزوق

ولد نهاد قلعي عام 1928 في مدينة زحلة اللبنانية لأسرة دمشقية عريقة بالفن والأدب. عمه الأديب بديع حقي، وأمه بدرية العطري وهي ابنة عم عبد الغني العطري صاحب العبقريات، وخاله الفنان توفيق العطري. ووالده محمد رفقي قلعي رئيس دائرة البرق والبريد في بلدة زحلة في لبنان.

أمضى قلعي سبع سنوات من طفولته في لبنان، عاد بعدها إلى منزل الأسرة في حي ساروجا الدمشقي ثم انتقلت الأسرة إلى حي شورى في المهاجرين، وفي المهاجرين انتسب إلى مدرسة البخاري الابتدائية ثم تابع بالتجهيز الأولى حيث تتلمذ فيها على يد الأستاذ المعروف عبد الوهاب أبو السعود الذي كان يعد المسرحيات المدرسية ويدرب الطلاب على أداء أدوارهم فيها، وكان نهاد يؤدي أدواره بنجاح وتفوق.

انهى دراسته الثانوية وانتسب إلى معهد التمثيل بالقاهرة، وتلقى موافقة من زكي طليمات عميد المعهد وقتها، لكن ظرفاً مادياً طارئاً حال دون سفره لإتمام دراسته الفنية، فقبل سفره بأيام سرقت منه النقود التي كان سيسافر بها مما اضطره لترك السفر إلى القاهرة والعمل بدمشق، فعمل مراقباً في معمل للمعكرونة، ثم ضارباً على الآلة الكاتبة في الجامعة، ثم نقل بعد ست سنوات إلى وزارة الدفاع، ولكنه ما لبث أن استقال منها. بعد ذلك عمل مساعداً لعميل جمركي لتخليص البضائع طوال خمس سنوات، ثم عمل لحسابه الخاص.

كان أول إسهام مسرحي له في مسرحية " قيس وليلى " في مسرح "الهبرا" بحي باب توما، إلى جانب الفنانين تيسير السعدي ووصفي المالح وآخرين، وكان دوره صغيراً لا يتعدى النطق بجملة واحدة. وكان الدور الثاني المهم في حياة نهاد قلعي الفنية عام 1945 في مسرحية "جيشنا السوري "، وكان عليه أن يؤدي دورين معاً لأن سلطات الاحتلال الفرنسية آنذاك منعت زميلاً له من التمثيل في المسرحية.

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية عام 1945 انتسب قلعي إلى " نادي البرق " ومقره بناء العابد الأثري في المرجة. وظهرت موهبته الكوميدية في مسرحية " الأستاذ كلينوف " على مسرح مدرسة اللاييك في شارع بغداد، شارك بعدها في مسرحية مسرحية " لولا النساء " تأليف سامي جانو، والتي عرضت على مسرح الأزبكية في القاهرة ولاقت نجاحاً كبيراً.

كما كان نهاد قلعي عضواً في " النادي الشرقي المسرحي " للهواة في دمشق الذي ضم عدداً من الفنانين الذين أصبحوا معروفين في ما بعد. وبين عامي 1957 و1958 قدم النادي عملين لافتين. قدم منهما في القاهرة، مسرحية ثمن الحرية " لعمانوئيل رويلس "، إلى جانب الفنانة الكبيرة أمينة رزق، وكان ذلك أول أيام الوحدة، ومصر تفتقر إلى المسارح القومية، لذا حقق العمل نجاحاً كبيراً وأشاد به الدكتور محمد مندور عميد النقد المسرحي في مصر.

وفي تلك الفترة توفي الفنان المصري حسين رياض، واختير قلعي ليكون بديلاً عنه للشبه الكبير بينهما. وكانت عقود العمل جاهزة في لبنان تنتظر التوقيع عليها. فما كان منه إلا أن رفض العرض قائلاً: أنا لا أترك رفاق عمري.

وكان الدكتور زهير البراقي، هو من قام بتعريب أحداث مسرحية " ثمن الحرية " التي تجري في الأصل بين أميركا الشمالية وفرنسا، فاذا بها تتحول بين الجزائر والفرنسيين. وعندما انتقد أحد الصحافيين هذا الاقتباس، انبرى له أحمد مندور قائلاً: "شاهدت المسرحية نفسها قبل فترة كما وضعها المؤلف الاصلي، وذلك على مسرح الأوبرا كما قدمها خريجو المعهد العالي للتمثيل في مصر.. وأعتبر أن إخواننا الشماليين في فرقة الشرقي، أضافوا إلى النص قوّة وزخماً أكيدين".

وظهرت في تلك الفترة فكرة تأسيس مسرح قومي في "الاقليم الشمالي"، فقدم سفير الإقليم الشمالي في مصر تقريراً بهذا الصدد وكان أميناً عاماً مساعداً لوزير الثقافة. وبدأت الفكرة تأخذ طريقها إلى التنفيذ، وبعد اجتماعات عدة صدر قرار رسمي بإنشاء "المسرح القومي" الذي كان قلعي أول مدير له عام 1958. وكانت نواة فرقة المسرح من أعضاء "النادي الشرقي"، وانضم إليهم فيما بعد عدد من الفنانين القادمين من أندية المدن الأخرى كحلب وحمص، وبين المسرحيات التي أخرجها ومثل فيها: مسرحية موليير "البورجوازي النبيل"، ومسرحية غوغول "المفتش"، اضافة إلى "ثمن الحرية" و"مدرسة الفضائح" و"المزيفون"..

عام 1960 وفي الثالث والعشرين من تموز افتتح التلفزيون السوري في جبل قاسيون لمدة ساعتين كل يوم، ومدير التلفزيون هو صباح قباني، وسرعان ما اشتهر برنامج " الأسرة السعيدة " مساء كل يوم خميس، وجَمَعَ البرنامج: نهاد ودريد وغازي الخالدي، وتاج باتوك الممثلة التي سافرت إلى أمريكا، ثم أصبح اسم السهرة " سهرة دمشق " وانضمّ إليها أبو صياح رفيق سبيعي.

وعن تجربة نهاد ودريد يذكر المؤلف " بشار ابراهيم " وفي كتابه " نهاد ودريد " ما يلي:

"مع تأسيس التلفزيون السوري عام 1960 وفي برنامج حمل عنوان "الأسرة السعيدة" ومن ثم برنامج "سهرة دمشق"، تعرفنا على جماليات البدايات حين كان على دريد ونهاد أن يتوجها إلى جبل قاسيون المكان الذي يبث منه التلفزيون، وخلو دمشق من المارة لدى عرض هذا البرنامج".

ويروي الكاتب على لسان الفنان الراحل نهاد قلعي أصل اسم "حسني البورظان "في برنامج "سهرة دمشق" حيث قال "كان اسمي حسني، وذات مرة كنت أتحدث بالهاتف على الهواء مباشرة، وأنا أقوم بالتمثيل، فنسيت الحوار، وحاولت تذكره، فقلت والسماعة في يدي: أنا حسني.. من ثم أضفت متسائلا، لإضاعة الوقت: حسني مين؟.. وفي تلك الأثناء لمحت خلف الكواليس أحد أفراد الفرقة الموسيقية يحمل "بورظانا " (بوقا) فقلت حسني البورظان." أما عن اسم غوار الذي سبقه تقديم دريد لحام لشخصية كارلوس، فقد ذكر لحام في أكثر من لقاء تلفزيوني معه أن هذا الاسم اقتبسه من أحد الموظفين في التلفزيون السوري، الذي يدعى غوار، وهو من الجولان، وهكذا بدأ غوار الطوشة وحسني البورظان مشوار الفن.

وعن اجتماعه بدريد لحام يقول نهاد قلعي " إن الأمر كان يتوجه إلى تحقيق "كركتر" ينقد المجتمع، ولم يكن اجتماعنا على أساس التركيب الفيزيولوجي لكل منا، بل على أساس التقارب الفكري، لقد آخترعنا معاً الفكاهة الدمشقية."

عام 1962 وفي فترة رئاسة الرئيس ناظم القدسي طلبت وزارة الثقافة من نهاد قلعي عرض مسرحية "البورجوازي النبيل"، تكريماً للطلبة الذين حصلوا على مراتب عليا في جميع الكليات السورية، وذلك في إطار الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة وصول ناظم القدسي إلى سدّة رئاسة الجمهورية السورية، واستلام خالد بيك العظم مقاليد رئاسة الوزراء. وفي اليوم المحدد، قبل ساعة من موعد بدء العرض، توجه قلعي إلى

"مسرح القباني" للتأكد من أن مسؤولة الملابس جهزت جميع الملابس والاكسسوارات المطلوبة للمسرحية. وكان متوتراً، مضطرباً، نظراً لحضور قادة سوريا العرض.

وعندما بدأ بارتداء ملابسه، اكتشفت أنها ناقصة، فهرع يبحث عنها في غرف الزملاء لكن دون جدوى. وما كان منه إلا أن ركل الباب بقدمه من شدة الغضب، ولم يكن يكسوها سوى نعل خفيف. فانكسر الباب، وانكسرت قدمه. وتم احضار الأطباء على الفور، فقرروا بالإجماع منعه من الحركة، إلا أنه أصر على تقديم المسرحية بحضور رئيس الجمهورية.

وبعد نهاية الفصل الأول، جاء الرئيس القدسي لتهنئته، وأبدى اعجابه الشديد بطريقة اتقان دور الأعرج. لكن وزير الثقافة السيد رفيق جبرائيل بشور أخبره حقيقة الأمر، فأصرّ الرئيس على الاكتفاء بهذا القدر من المسرحية، واقترح الاعتذار من الجمهور عن عدم متابعة العرض والاعلان عن تأجيله إلى وقتٍ لاحق. لكن قلعي لم يزد إلا إصراراً على مواصلة المسرحية، وأتم فصولها الخمسة رغم الكسور الثلاثة في قدمه. وعند نزول ستارة الفصل الأخير اشتعلت الصالة بتصفيق منقطع النظير..

عام 1964 بدأ نهاد قلعي بأول فيلم له مع دريد لحام وصباح وفهد بلان بعنوان "عقد اللولو" ومن إخراج يوسف المعلوف. ومن انتاج السينمائي الشهير نادر الأتاسي، بعد نجاح "عقد اللولو" قرّر الأتاسي والمخرج يوسف المعلوف إعادة التجربة مع دريد ونهاد في فيلم اسمه "لقاء في تدمر" وذلك سنة 1965 والفيلم من تأليف دريد ونهاد، وشاركهم البطولة هالة شوكت، وجاءت بعدها تجربة فيلم "الشريدان" من إخراج رضا ميسر والمقتبس عن قصة أدبية لفيلم أمريكي من بطولة تشارلز لوفون، إلا أن الفيلم فشل في صالات العرض، حيث قدم بالأبيض والأسود على عكس الأفلام السابقة وطبع وحمض في معامل بيروت، لكن الذي حدث أن الصوت لم ينطبق على الصورة تماماً مما جعل مصير الفيلم الفشل الذريع.

وبعد فشل فيلم "الشريدان" حاول نهاد ودريد إعادة الثقة للجماهير، فقدما فيلم "فندق الأحلام" عام 1966 بالألوان ومن بطولتهما مع الممثلة اللبنانية ميشلين ضو وإخراج ألبير نجيب، تبعه فيلم "أنا عنتر" بمشاركة المطربة اللبنانية رندة، وقدما أيضاً فيلم "المليونيرة" مع صباح ومن إخراج يوسف المعلوف.

وفي عام 1967 لعب نهاد بطولة فيلم "غرام في إسطنبول" من إنتاج سوري لبناني مشترك ومن إخراج سيف الدين شوكت، كما لعب بطولة فيلم "الصعاليك" من إخراج يوسف المعلوف.

في عام 1968 لعب أيضاً بطولة فيلم "النصابين الثلاثة" من إخراج نيازي مصطفى بمشاركة فريد شوقي ودريد لحام، كما شارك في فيلم "اللص الظريف" من إخراج يوسف عيسى وبطولة دريد ونهاد ونيللي.

وفي عام 1969 مثّل نهاد في فيلم "خياط للسيدات" من إخراج عاطف سالم وبطولة دريد وشادية، تلاه "الصديقان" من إخراج حسن الصيفي وبطولة دريد ونهاد ونجلاء فتحي، وفي الوقت نفسه وقف نهاد أمام كاميرا المخرج الكبير حلمي رفلة في فيلم "الرجل المناسب" مع دريد لحام ونادية لطفي.

في عام 1971 مثّل نهاد ودريد في ثلاثة أفلام هي: "امرأة تسكن وحدها" من إخراج نجدي حافظ، و"الثعلب" و"1+1" من إخراج يوسف المعلوف، وشهدت سنة 1972 لنهاد بفيلم كوميدي جميل اسمه "مقلب من المكسيك" من إخراج سيف الدين شوكت، وبطولة دريد لحام وهالة شوكت، وشهد عام 1973 فيلمين لنهاد ودريد هما: "زوجتي من الهيبز" من إخراج عاطف سالم وبطولة دريد ونهاد

أسرة مسرح الشوك في السبعينات

وهويدا ابنة الفنانة الكبيرة صباح، و"مسك وعنبر" من إخراج محمد ضياء الدين وبطولة نهاد ودريد أيضاً.

وفي عام 1974 تأثر نهاد ودريد بموجة أفلام جيمس بوند وصدى هوليود؛ فعملا في فيلم "غوار جيمس بوند" من إخراج محمد شاهين، وبعد نجاح مسلسل صح النوم قرّر نهاد ودريد تحويله إلى فيلم سينمائي، وفعلاً تحوّل الحلم إلى حقيقة سنة 1975 وكان من بطولة دريد ونهاد وإخراج خلدون المالح، ليكون خاتمة مشوار نهاد قلعي السينمائي.

كذلك قدّم نهاد قلعي مع دريد لحام عدداً من المسلسلات الإذاعية مثل: "غوار بغوارين "، و" الكنز "، و"غوار يخترق الجدار "، ثم قدّم بمفرده مسلسل "حلاق الحارة " مصوراً فيه البيئة الشعبية في أوائل القرن العشرين.

بعد النجاح الكبير في التلفزيون والسينما، عاد نهاد قلعي بصحبة شريكه الفني دريد لحام إلى المسرح مرة أخرى في أواخر الستينيات ليقدم ضمن ما سمي بـ "مسرح الشوك " ثلاث مسرحيات ذات طبيعة اجتماعية سياسية ساخرة هي: " مرايا"، " جيرك"، "براويظ ". وفي أوائل السبعينيات أسس مع لحام " فرقة تشرين المسرحية " وقدما من خلالها مسرحيتين: "ضيعة تشرين وغربة " وهما من تأليف محمد الماغوط.

تعرض نهاد قلعي عام 1976 لحادث أعاقه عن العمل، وكان يكتب حينها مسلسلاً تلفزيونياً جديداً بعنوان " الأغرار"، فلم يستطع إكماله، وأنجزه بعده محمد الماغوط وظهر بعنوان "وادي المسك ".

واختلف الحديث في شأن الحادثة التي أصابت الفنان الكبير الراحل نهاد قلعي، وأدت إلى مضاعفات غير حميدة على صحته. ولكن المؤرخ السوري أكرم حسن العلبي يرويها كما جرت في كتابه ظرفاء من دمشق نقلاً عن حديث مع الأستاذ قلعي نشر في مجلة " اليقظة " يصف الحادثة نهاد بأنها أتت تكملة لمصائبه كالقشة التي قصمت ظهر البعير، ويمضي إلى القول:

كنت في مطعم، ومعي ضيف من لبنان، فنفذت سجائره، فطلب من النادل سجائر ولم يلب النادل طلب الضيف، فزعلت كثيراً وأنبت النادل، وإذا برجل يجلس مع شلة من رفاقه، على طاولة مجاورة ينادي بصوت غليظ عال:

- بورظان، بدك سجائر.. تعال.. تعال، خذ من عندي

فقلت له: أنا ما بدي من حدا سجائر. بعدين، أنا مالي اسم معروف تناديني به يا حمار؟

وعدت إلى حديثي مع ضيفي، وإذا بي أفاجأ بضربة كرسي من الخلف على رأسي. هذه هي الحادثة.

- هل كان سكران؟

- كان سكران، وبلا أدب

- هل من المعقول أن لا يكون لدى هذا الرجل سبب آخر لضربك، وأنت محبوب من الجميع؟!

- لأني شتمته. وقلت له: إلي اسم يا حمار.

لكن مالم لم يذكره المؤرخ أكرم العلبي أن المعتدي كان عنصراً في سرايا الدفاع التي يقودها رفعت الأسد والتي عانى من ممارساتها الشعب السوري بأسره.

بعد ذلك كانت صحته تتحسن تارة وتسوء تارة أخرى، وقد استطاع كتابة مسلسل بعنوان " يسعد مساكم "، إلا أنه لم يجد طريقه إلى التنفيذ. ثم كتب ومثل مسلسلاً تلفزيونياً هو "عريس الهنا " بطولة الفنانة سلوى السعيد، وكان هذا العمل آخر مشاركة فنية له. ولكنه ظل أيضاً، طوال فترة مرضه، يكتب قصصاً لإحدى مجلات الأطفال المصورة.

كتب نهاد للأطفال ليعيل أسرته، وهو متزوج من المربية السيدة نبيهة عنتبلي، وله ولدان هما بشار مهندس معماري ومها مهندسة مدنية. واستمر ذلك عشر سنوات، كان يقيم في بيروت فيها في غرفة متواضعة، ويكتب لمجلة " سامر " اللبنانية، ويتردد على دمشق، وأحياناً كان يرسل المواضيع من دمشق، استخدم في قصصه شخصية "حسني البورظان" وشخصية " ياسينو" بالإضافة إلى شخصية فرنسية خيالية اسمها " تشارلي".

كان الكاتب نبيل صالح قد ألف موسوعة اسمها "رواية اسمها سورية "عن أهم مئة شخصية ساهمت في بناء الوعي الفكري وكان نهاد قلعي من بينهم، وقال عنه الممثل الكوميدي دريد لحّام:إن صديقي نهاد ساعدني بامتطاء المجهول ولأختار الفن الذي أملت أن أحقق به ذاتي.

مات قلعي كالكثير من المبدعين في سوريا فقيراً معدماً بعد أن باع كل شيء يملكه ليعالج نفسه من مرض الشلل وفي مطلع تشرين الأول 1993 تدهورت صحته كثيراً ونقل إلى مستشفى الهلال الأحمر، ورغم كل الجهود التي بذلت فإن إصابته المزمنة ومعاناته القديمة من مرض السكر لم تمهلاه، إذ تعرض لأزمة قلبية حادة.

صبيحة أحد الأيام قام طبيب من مشفى الهلال الاحمر بالاتصال أثناء بث البرنامج الإذاعي "معكم على الهواء" وقال بلوم شديد لمقدم البرنامج: إن نهاد مريض منذ 15 يوماً، لم يأت أحدٌ لزيارته إلا شخص أو اثنان، بعدها بأيام توفي نهاد قلعي وسارت جنازته من حي المهاجرين إلى جامع لالا باشا، في شارع بغداد، ثم دفن في مقبرة الدحداح، ولأول مرة تبدأ جنازة بعدد قليل من الناس ثم تنتهي بحشود غفيرة.

رحل نهاد قلعي الذي أضحك العالم وبكى وحيداً.

الحجاب، كاتبات يروين تاريخه وتقاليده وأبعاده السياسية

لجنيفر هيث وترجمة: مها حسن بحبوح

■ ياسر مرزوق

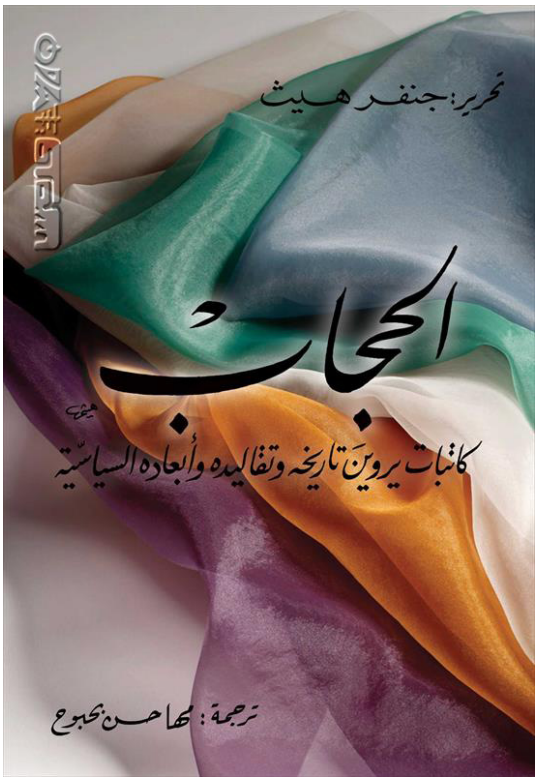

يبدو الحجاب إشكاليةً تواجه المسلمين في المجتمعات الغربية وفي المجتمعات العربية التي تدعي العلمانية، ويخفت الحديث عن الحجاب ويتصاعد تبعاً للحال السياسي وللتيار الذي يسيطر على المجتمع أو وسائل الإعلام الغربية، وكتابنا اليوم رؤية إنسانية حسية للحجاب تتداخل أحياناً بالتشريع والسياسة وعلم الاجتماع، من خلال تجارب للعديد من الكتاب والناشطين الحقوقيين إضافةً لتجارب شخصية وحياتية.

في العقد الثالث من القرن العشرين وضعت الكاتبة نظيرة زين الدين الحلبي كتابها « السفور والحجاب » وفيه أعلنت عن مبدأ الحرية الذي ينبغي أن يحكم الإنسان، والذي هو روح النهضة في الأمة الإسلامية:

«إنما أنا مبشرة وداعية مع من بشر بالحرية على أنواعها ودعا إليها، إني أرى الحرية روح النهضة في الأمة الإسلامية، وأعدّها ركن الرقي والسعادة في الهيئة الاجتماعية. إني أريدها محيطة بالعالم كحلقات من نور، مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، لا ينقص منها حلقة. وللمسلم أن يتخذ ملبساً لرأسه ما يراه نافعاً لائقاً، وليجل الدين عن أن يتخذ شكل الملابس وسيلة للطعن في إيمان اللابس».

وفي بدايات القرن العشرين أيضاً خلعت هدى شعراوي حجابها في ميادين مصر، في ثورةٍ على كل قديم، ومن يومها يتداخل الديني بالسياسي في تحديد لباس المرأة المجتمعات الإسلامية، مع ثورة الخميني في إيران مثلاً منع السفور نهائياً ومع تقرب السادات من الإسلاميين انتشر الحجاب ليغطي مصر التي لم تعرفه في الخمسينات من القرن الماضي، ومع حراك الإخوان المسلمين في سوريا عام 1964 وتطرف حزب البعث الحاكم بدأ الحجاب يغطي سوريا أيضاً كردة فعل من الأغلبية وكمقاومة سلمية مفادها أننا هنا.

ولعله يمكن الوقوف عند نقطة هامة، قد لا يذكرها الكثيرون، وهي أن الحجاب كان موجوداً منذ فترات تاريخية قديمة، وعند عدد من الشعوب المختلفة، فقد عرف الأشوريون الخمار، وكانت الغاية منه الفصل بين الحرائر والإماء. وكذلك عرفه المصريون، كما عرفته اليهودية والمسيحية. وقد فرض اليونانيون على نسائهم الاحتجاب والنقاب منذ القرن الخامس قبل الميلاد.. أي أنه لم يكن ليشكل هوية محددة لشعب ما بقدر ما كان يرتبط برؤية اجتماعية وضعها آنذاك الرجل..

يقول عالم الأنثروبولوجيا لويس دوبري، في كتابه « أفغانستان »، نسخة عام 1980: نادراً ما ترتدي القرويات ونساء القبائل الشادري « البرقع » لأنه يعيق مهامهن الاقتصادية اليومية. إذا كبرت القرية وصارت تعد أقرب إلى أن تكون بلدة، وأصبح لها سوقها الخاص، وإذا صار لدى الرجل ثروة تسمح له بتوظيف خدم، غالباً ما تصرّ زوجته على ارتداء الشادري، فهذا بحسب اعتقادها يجعل منها امرأة متأنقة وابنة مدينة، من دون أن تدري أن بنات عمها في المدينة لا يشاطرنها الرأي. كما أن العديد من الفتيات في المدن والبلدات يبدأن لبس الشادري فور بلوغهن للإشارة إلى أنهن أصبحن نساء حقيقيات جاهزات للزواج.

لكن في عالمنا اليوم يبقى الحجاب، رمزاً للمقاومة؛ مقاومة التمييز الاثني والديني. ففي مصر مثلاً تقول الدكتورة نوال السعداوي عن الحجاب والأخلاق: « الأخلاق لا علاقة لها بالملابس فيه نساء عرايا في أفريقيا وأخلاقهم كويسة وفيه نساء محجبات نصف مومسات هنا في مصر فلا علاقة للحجاب بالأخلاق ولا العذرية »، وصرحت لمجلة فرنسية: « بأن المرأة المحجبة والتي تغطي رأسها متخلفة، وإن عقلها مغلق».

وفي مصر أيضاً أنكرت الكاتبة الصحفية إقبال بركة أن يكون الحجاب من تعاليم الإسلام، وقالت إقبال بركة رئيس تحرير مجلة حواء ان الحجاب هو امتداد للعصور الجاهلية وسأستمر في محاربته، وأضافت ان الجذور التاريخية للحجاب ترجع إلى الحضارة الأشورية وذلك في ظل ظروف أمنية ومجتمعية معينة وقد امتد هذا الزي عبر العصور وورثته الحضارة الإسلامية، وقرر الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية في حينه عدم صلاحية كتاب «بركة « الحجاب رؤية عصرية للنشر لمخالفته صريح الكتاب والسنة النبوية.

في الجانب الآخر تخوض النساء المسلمات معارك دائمة في فرنسا والنمسا وفي تونس وتركيا سابقاً دفاعاً عن حقهن في ارتداء الحجاب، وتأكيداً لفكرة أن نزع الحجاب عنوة عن رأس المرأة التي ترتديه، هو فعل إخضاع لا فعل تحرير.

عُرفَ الحجاب، بمعنى تغطية النساء والرجال والموضوعات والأمكنة المقدسة، في أوساط شعوب تنتمي إلى ثقافات وديانات مختلفة منذ عصور موغلة في القدم. نجد مع ذلك أن الحجاب لا يزال عرضة لسوء فهم كبير. كان هناك زمن اعتُبر فيه الحجاب، في كل مكان وبكل مظاهره المتعددة، أمراً مسلّماً به إلى حد ما، أقله بما هو تعبير كامل عن الأسرار المقدسة. أما الآن، فقد أصبح الحجاب نقطة استقطاب عالمي، أصبح موقع النزاع بين الإسلام والغرب وبين التفسيرَيْن المعاصر والتقليدي للإسلام. لكن فكرة الحجاب تعود إلى زمن سابق لظهور الإسلام كما أنه ينتشر في أماكن تتجاوز حدود الشرق الأوسط. يسعى هذا الكتاب إلى تقديم صورة أشمل عن الحجاب وذلك من خلال استكشاف وتفحص بعض ما يرتبط به من ثقافات وسياسات وسردية « سرديات »، والتذكير بشموليته وقِدَم وجوده واستخداماته وسوء استخداماته.

ويقوم واحد وعشرون كاتبة وباحثة وفناناً موهوباً، يمثلون مختلف المجتمعات والديانات والأعمار والأمكنة والإنجازات والمواقف، بشرح الحجاب وتفنيده وإدانته و/أو مديحه حيث يعالجون القضايا والمسائل العويصة المعاصرة، كالحشمة والأمان والقمع والتحرّر وحرية التعبير والعبادة، إضافة إلى الروحانيات والفنون والسحر. وهنا تبدو مجموعة المقالات المكتوبة بأقلام سيدات، حصراً، ملائمة للموضوع بالنظر إلى أن الحجاب يرتبط عادة بالأنثى ويبدو وكأنه ينطوي على نزعة أنثوية. الحجاب، وبقدْر ما هو قطعة من القماش أو قطعة ثياب، هو مفهوم أيضاً. بإمكانه أن يكون خداعاً أو تباهياً أو تجايلاً أو غشاً أو تحرراً أو سجناً أو تعبيراً ملطّفاً عن أمر ما، أو نبوءة، أو إخفاء لشيء، ما أو هلوسة أو كآبة أو صمتاً أبلغ من الكلام أو قداسة أو العوالم الأثيرية الكامنة خلف الوعي أو الاسم المئة للرب، الخفي عن الكل، أو الدرب النهائي المُفضي إلى الموت، بل وحتى الرؤية النبؤية التوراتية، أو رفع الحجاب عن الرب إيذاناً بقدوم آخر الزمان. عندما يُفرض الحجاب قسراً، أي عندما يُطبّق بالقوة، فهو فعل قمع.

ما يميز هذا الكتاب هو أنه يجمع للمرة الأولى، وبين دفّتَيْ مجلد واحد، وجهات نظر متعددة، وتجارب مختلفة، وأحياناً متعارضة، تنتمي إلى تقاليد عديدة، ترمي إلى إظهار أن فكرة الحجاب تتجاوز الحدود الضيقة لمجموعة بشرية واحدة كما الأحكام المتحاملة السائدة في لحظةٍ ما معينة من عمر البشرية.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

حقوق المواطنة وحقوق الإنسان

■إعداد المحامي فارس حسّان

قبل الخوض في واجبات المواطنة واستكمالاً لمقالنا السابق عن حقوق المواطنة لابد من بحث العلاقة بين حقوق المواطنة وحقوق الإنسان إذ يميل بعض الباحثين إلى التطابق بين المفهومين، لذا لا بد من أن نفرق بينهما حتى نكون على دراية بمنظومة الحقوق الأساسية للإنسان والمواطن معاً.

حقوق الإنسان حقوق متأصلة في جميع البشر، مهما كانت جنسيتهم، أو مكان إقامتهم، أو نوع جنسهم، أو أصلهم الوطني أو العرقي، أو لونهم، أو دينهم، أو لغتهم، أو أي وضع آخر. إن لنا جميع الحق في الحصول على حقوقنا الإنسانية على قدم المساواة وبدون تمييز. وجميع هذه الحقوق مترابطة ومتآزرة وغير قابلة للتجزئة.

و حقوق الإنسان غير قابلة للتجزئة، سواء كانت حقوقا مدنية وسياسية، مثل الحق في الحياة، وفي المساواة أمام القانون وفي حرية التعبير؛ أو اقتصادية واجتماعية وثقافية، مثل الحق في العمل والضمان الاجتماعي والتعليم؛ أو حقوقا جماعية مثل الحق في التنمية وفي تقرير المصير، فهي حقوق غير قابلة للتجزئة ومترابطة ومتآزرة. ومن شأن تحسين أحد الحقوق أن ييسر الارتقاء بالحقوق الأخرى. وبالمثل، فإن الحرمان من أحد الحقوق يؤثر بشكل سلبي على الحقوق الأخرى.

وهي الحقوق الطبيعية التي تولد مع الإنسان دون أن يشترط لذلك اعتراف الدولة بها قانوناً، وهذه الحقوق نشأت مع الإنسان منذ الخلق الأول، وتطورت مع الحضارة، ويجب أن تثبت لكل إنسان في كل زمان ومكان لمجرد كونه إنساناً وتميزه عن سائر الكائنات الأخرى.

أما شرعة حقوق الإنسان فهي مجموعة من المواثيق والإعلانات والاتفاقيات والقوانين الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان مهما كان هذا الشخص وأيا كان موقعه في العالم: وتشمل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذى صدر عام 1948، والعهديين الدوليين لحقوق الإنسان لعام 1966 أي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والبروتوكول الاختياري الأول الملحق بالعهد الدولي الذى تعترف بموجبه الدولة الطرف في العهد باختصاص اللجنة المعنية بحقوق الإنسان المنشأة بموجب العهد في تسلم ونظر الشكاوى المقدمة من الأفراد الداخلين في ولاية تلك الدولة.

يمكن تصنيف الحقوق إلى ثلاث فئات:

- الحقوق المدنية والسياسية وتسمى أيضاً «الجيل الأول من الحقوق»: وهي مرتبطة بالحريات، وتشمل الحقوق التالية: الحق في الحياة والحرية والأمن؛ وعدم التعرض للتعذيب والتحرر من العبودية؛ المشاركة السياسية وحرية الرأي والتعبير والتفكير والضمير والدين؛ وحرية الاشتراك في الجمعيات والتجمع.

- الحقوق الاقتصادية والاجتماعية وتسمى أيضاً «الجيل الثاني من الحقوق»: وهي مرتبطة بالأمن وتشمل: العمل والتعليم والمستوى اللائق للمعيشة؛ والمأكل والمأوى والرعاية الصحية.

- الحقوق البيئية والثقافية والتنموية وتسمى أيضاً «الجيل الثالث من الحقوق»: وتشمل حق العيش في بيئة نظيفة ومصونة من التدمير؛ والحق في التنمية الثقافية والسياسية والاقتصادية.

ومما سبق نرى تطابقاً ظاهرياً بين حقوق الإنسان وحقوق المواطنة، إلا أن حقوق الإنسان تتعلق به بصفته الإنسانية لا القانونية، فقد يتواجد هذا الإنسان خارج حدود الدول أي في المجال الجوي أو المائي الدولي، أو قد يتواجد في دولة لا يحمل فيها صفة المواطنة ومع ذلك تشمله منظومة حقوق الإنسان.

فحقوق الإنسان تشمل المواطن والمقيم بصفة دائمة أو مؤقتة أو زائر لهذه الدولة للسياحة أو الدراسة أو العلاج أو لاجئ في هذه الدولة او عدو لهذه الدولة تم اسره من خلال الحروب أو تم القبض عليه متجسساً أو مخربًا. أي إنسان متواجد في تاريخ معين في أي دولة كانت جدير بأن تنطبق عليه منظومة حقوق الإنسان العالمية.

حقوق الإنسان هي جزء أساسي من حقوق المواطن فى حين توجد حقوق خاصة للمواطن ينفرد بها، فحقوق الإنسان تطبق على كل من هو متواجد في دولة بعينها، وقد قننت الشرعة العالمية لحقوق الإنسان اتفاقيات خاصة لتحمي الأضعف أو الذين يتواجدون في دولة ما هرباً من الاضطهاد السياسي أو الديني أو العرقي أو الاقتتال الأهلي في موطنهم، كمت قننت اتفاقيات خاصة لمعاملة أسرى الحرب تدعيماً لحقوقهم الإنسانية.

يجب التنويه على وجود تداخل بين حقوق الإنسان وحقوق المواطنة، فهناك تأصيل لحقوق المواطنة فى المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، فمواثيق حقوق الإنسان ضمت فى بعض أجزائها المواطن فى وطنه والإنسان فى مكان تواجده، إلا أن حقوق المواطنة وكما ذكرنا سابقاً نتاج العلاقة القانونية بين المواطن الحامل للجنسية الدولة سواء كانت هذه الجنسية أصيلة أو مكتسبة، وهي تعنى بالدرجة الاولى وبصيغة قانونية بتحديد علاقة الافراد بالدولة من حيث احترام السلطة المتمثلة بالدستور، والخضوع للقانون ومعرفة الحقوق والواجبات، وبهذا تشكل الإطار القانوني والسياسي لممارسة المواطن لحقوقه ولأدائه لواجباته بكل وعي ومسؤولية على أرض الواقع.

وحقوق المواطنة الرئيسية تتعلق بالمساواة بين جميع المواطنين والفرص المتساوية لجميع المواطنين للمشاركة فى الحياة السياسية والعامة، أي أن ركني المواطنة هما المساواة والمشاركة، وفى نفس الوقت فإنه يترتب على المواطنة حقوق وواجبات.. والحقوق تسبق الواجبات أي أنه فى حال وجود واجبات بدون حقوق تتحول المواطنة إلى عبودية، وهنا يظهر الخلاف بين أصلي الحق ففي حقوق الإنسان الحق مرتبط بولادة الإنسان أينما كان أما حق المواطنة فأصله تعاقدي بين الدولة والمواطن.

ومن تعريف المواطنة بوصفها نتيجةً للشراكة في وطن واحد، ظهر ما يسمى بمصطلح المواطن العالمي بوصفنا جميعاً شركاء في الإنسانية، ويتداخل كل من هذه الحقوق في النضال لنيلها فالنضال من أجل حقوق المواطنة هو نضال من أجل حقوق الإنسان، وإذا كان من شروط المواطنة الخمس ثقافة مدنية تحكم المجتمعات فليس لنا قراءة هذا الشرط إلا من منظور حقوق الإنسان.

الصورة لمحمد بدرة - دوما | أيار 2014

من أنتم

■ محمد بدرة - دوما

من أنتم، يسأل أقبح ما فيكم عنكم!
فأنا الآن أحاججكم..
أبحث فيكم عن جسدٍ مهترئ، ينزح عنّي، عن روحي..
أبحث فيكم عن شفةٍ تلثم فيَّ ثغري، شطآن جروحي..
شفةٍ أصرخ ثأراً عنها،
شفةٍ تبحث لي سيفاً، يبحث عن غمده في جسدي..
يقطعني إن صرخت شفتيَّ، يا بلدي..
يا بلدي..
عواصف ثغري تنهال عليك، تتساقط فيها جُملي،
فهجتك..
لتذوب أمامي، تتلكأ فيك..
تتبعثر وحروف العالم، تسأل فيض قذارتك..
عن اسوأ موتٍ، عن أقذر ما فيه من الآهات..
عن وطنٍ، بأراض المنفى،
عن وطنٍ بملامح مبغى،
عن ليلكٍ إن يحيا من عتمة آلاف الزنزانات..

من أنتم..
هل وطناً هو أنتم؟
ماتت ارضه،
واغتيلت آناء ولادتكم..
بيعت وبأبخس أثمانٍ هي قيح لُحاكم،
فسكنتم فيها
وسرقتم أضواء الصبح ووهج القمر الذائب فينا وطناً يصلب
تحت عبائتكم، ومَحوتم فيه جميعَ الأرقام وكل الأسماء..
خنقتم أوراقَ الشجر، وريح الخبز وألق الماءِ ودَرَ القُبَل
وكل الأشياء..
اعذار منكم، تصرخ عنكم، تحيا فيكم، تحييكم..
تضاجع ألسنةٌ في رحم شفاكم،
لتسود بقاياكم،
لتعود بنصف شفةٍ بنصف حرفٍ بنصف ثغر..
لتَخْلُق وسط المنازل ألف مقاتلٍ بآلاف المقاصل..
ليحيا فيها ألفَ جلادٍ بألف عذر..
بألف نصلٍ تغمس بالسر فيها..
بألف سكينٍ، بألف سيفٍ وألف غدر..
وألفَ بيتٍ مهترئٍ فوقها
وألف قبرْ..
وألف ألف تبرير..
وفسحةٍ من خراب،
وحفنةٍ بشر تشردت وسطها، ليوم قصير..
عاشت فيه ألف عام..
وسط وطنٍ ذبيحٍ قتيلٍ حزينٍ مريضٍ كسيرٍ أسير..

نسأل أصغر جلادٍ منكم، عن قسعةِ ندمٍ تحيينا،
نسأل أكبركم، عن قبرٍ يأوينا..
فسئمنا أياماً نحيا فيها أنصافاً ثكلى..
نصرخُ كلَ العالم، نبحث فيهم عن جلادٍ لا ينكر عند
اللّه، حروف القتلى القتلى..

أنتم أنتم..
هو ليس الجلادَ الأوحد،
أبصر غبطتكم،
وسعادتكم يومياً بعد القصف..
أنتم، أنتم..
من لستم إلا أكفاناً تتنفس..
ببقايا نعشٍ يتحركُ يحملكم، جثثاً لمّا تتفجر بعد..
أنتم، أنتم،
وكهنةٌ تدعوا فينا، تعبد - دون اللّه - العدم..
وبقايا وثنٍ مَيْتٍ في أرضٍ تكتبنا عهداً من موتٍ وألم..
وبلادٌ تترنح فيكم..
تسكر بين فتاويكم، وبين صكوك المغفرةِ..
تملئ فيكم ما يبقى فينا..
بعد حربٍ ومعركة..
بعد اغتيالٍ ومجزرة..
بعد الف مقبرة..
لتفيض بكم، بمنابركم، بحناجركم..

هذا ما أنتم:
موتٌ دون بَعْثْ..
نصرٌ دون خَصمْ..
حربٌ وقصف..
حُزْنٌ وألم..
سَجْنٌ، حِصارٌ، تَشتتٌ وعَدمْ..
بترٌ وعجزٌ وكَبْت..
نارٌ وسْطَ ثأرٍ وسط صَبرٍ وسط ألفِ ألفِ لا..
ولابلد..
وصراخٌ ضائعٌ، ولاأحد..
بارودة وسيفٌ، ودرع..
قذيفٌ وجُرْحٌ وآه..
نزفٌ وخوفٌ وموتٌ وكَفَن
نعشٌ يملئ فيكم،
وعَفن..
ثم ألفَ وَثن..
ثم زد فيكم ألف إنسان وَثن..
وألف خرابٍ من سراب،

ثمَّ ناعورةُ دم، وألف قفلٍ وألف باب..

فانسوا بينَ شِفاكم أحرفنا..
إن نحيا يوماً بين مسامع وطنٍ تصلب فيه جميعُ الأسماء..
وارموا برفق دمنا..
يموتُ بقيدٍ من ارض وسماء..
وارمونا وسْط سريرٍ من أتربةٍ قتلى،
تحضن اجساد الموتّى البسطاء..
وتنفسوا بعدنا الصعداء..
وتذكروا زفير البرد الكامـن فيكم منذ القصف الأول إن
يشهق فينا..
واذكرونا..
بقعاً من دمعٍ ودمٍ تَمسح عن أذرعكم كل صلاة..
وتذكروا السارين،
وبلداً تملئ بـ"جمال" النخوةِ توصف بالشرقية..
وأخرىً تملئ بـ"العنب" وتوصف بالغربية..
وأخرىً تملئ بالموت وتوصف بالعِشْق..
صرختم فيها كي تصمت عنكم، درءاً للفتنةِ،
فقصفتم فيها، وذبحتهم فيها، وقتلتم فيها..
تذكروها..
واحفظوها أمّاً لا تنسى
وقولوا عنها "دمشق"..
ثم ارحلوا..
وقبل الرحيل تذكرونا..
كالحلم ذبنا وسط حضنٍ دافئٍ وعناق..
كالشوق وسط العشق..
كالإنسان والمساءِ والصبح..
بهدوءٍ تذكرونا كفيرزَ وريحَ الخُبز..
كصوتٍ مؤذن الأمويَ..
بكلمةِ أحبكَ، تذكرونا..

وانعونا بخطاب عشقٍ بسيط..
كطفلٍ يرضع، يبكي، يلعب،
كطفلٍ يغني،
كطفلٍ لا يعرف معنى الهاون..
كقبلةٍ من وطنٍ وبيتٍ وأخْ..
تذكرونا بالنورِ والحياةِ والسلام..
بلحظةٍ يتيمةٍ من موسيقا،
بألف قصيدةٍ للغرام..

تذكروا أننا البسطاء..
وأنّا من قتلتم..

سهرة في قبر!

■ زكريا تامر
من كتاب (هجاء القتيل لقاتله) 2003

اشتكى الموتى لأبي العلاء المعري قائلين إن ما يفترسهم من ملل لن يزيله سوى حديثه المشوق عن بعض ما صادفه من أحداث طريفة أيام كان حياً، فقال أبو العلاء المعري: نلت في حياتي القليل من التكريم، وعرض عليّ الكثير..

عرض عليّ أن أصير شاعراً معروفاً تعجب به المطلقات الباحثات عن العزاء والسلوان لقاء أجر سخي يدفع بالدولار، فرفضت بحجة أني لست قبراً مفتوحاً لا صاحب له يحميه، وتستطيع أية جثة أن تحتله..

وعرض عليّ أن أصير وزيراً للخارجية، أغادر البلد كل أسبوع بحقائب فارغة وأعود إليه بحقائب ثقيلة لا يستطيع زحزحتها من مكانها إلا أبطال العالم في رفع الأثقال، فلم أوافق لأني كسلان كاره للأسفار..

وعرض عليّ أن أصير مليونيراً ينفق المال بغير حساب، فأبيت لأن المال لا يجلب لمالكه سوى اللصوص والمرائين..

وعرض عليّ أن أصير قائداً لجيش مطيع مطاع، فصحت: ما أفجع مصير البلاد التي ترحب بأن يحمل أدباؤها السلاح ويحمل جنرالاتها الأقلام!

وعرض عليّ أن أصير عضواً في جامعة الدول العربية، فاستنكرت هذا العرض، وتساءلت: أهذا تكريم أم عقاب مهين؟

وعرض عليّ أن أصير قاضياً مكلفاً بالنظر في قضايا المعارضين المسجونين، فكان جوابي الفوري هو النصح بالبحث عن رجل آخر يقبل بتلاوة الأحكام الصادرة سلفاً..

وعرض عليّ أن أصير نائباً في البرلمان، فتساءلت: وهل سأصير نائباً بالتعيين الذي يسمى انتخاباً؟

وعرض عليّ أن أصير مغنياً، فأوشكت أن أجهش بالبكاء خوفاً من مقدم يوم يعرض عليّ أن أصير راقصة..

وعرض عليّ أن أصير مبصراً، فرفضت، فلا وجود لما هو جدير بأن يرى.

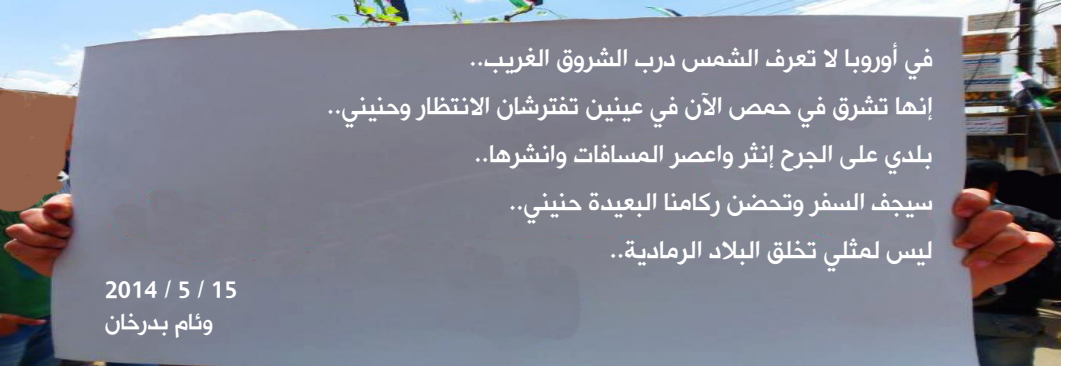

بطرس المعري

يسمي المسيحيون أولادهم باسم عمر تيمناً بعمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الذي فتح بيت المقدس وأعطى أهلها الأمان.. هذا في التاريخ القديم. أما الآن، في التاريخ المعاصر، فعشرات المواليد في مشفى الإفرنسي قسم التوليد، ينتظرون معرفة اسم الأخ الذي حمل راهبة معلولا كي يحملون اسمه.

بيسان الشيخ

السلطات التونسية رحلت أكثر من ٥٠ سورياً - فلسطينياً.. ما سمعت ولا مسبة عالتوانسة من لي نازلين يصبحوا ويمسوا هن وعم يشتمونا.. يا أخي ليش مستوطابين حيطنا ورح نفلق حالنا اعتذارات «عما فعل السفهاء منا».. عالاقل أعدلوا بالشتائم ونحن قبلانين!

راشد عيسى

أحدهم يعرض في فيسبوك «سورة الكهف» بصوت عبد الباسط عبد الصمد. أقول لنفسي لمَ لا أستمع. يأتي الصوت فتحضر كل عزاءات المخيم: الوجوه الصامتة الحزينة في الزواريب. الأيدي التي تشد على الأيدي. التنهدات والهمهمات. ووحده صوت المقرئ في كل مكان. كان الناس في تلك الأيام يموتون بهدوء، تقريباً يحفرون أسماءهم بأنفسهم على شواهد القبور. يكفي إعلان من المسجد القريب «إنا لله وإنا إليه لراجعون»، يصرخ الساهرون في الديوان بأطفالهم أن أنصتوا كي نرى من الميت. كل يوم كان هناك عبد الباسط، هذا الذي لم ينعم به الميتون الجدد، ولا ذووهم، لا شك أنهم يحلمون اليوم بنعمة صوت عبد الباسط عبد الصمد يظلل سماء الزواريب. الزواريب التي دفنت هي الأخرى من دون صوت ولا شواهد ولا عبد الصمد.

مازن غربية

وبعد نزوله إلى حمص القديمة، تلك الأرض الطيّبة، وبعد مشاهدته ركام منزله ورماد ذكرياته، ابتسم من قلبه وكتب: «فداكم يا شباب.. الحمدلله على سلامتكم»

وبعد «تعفيش» شبيحة الدفاع الوطني لممتلكاته المتبقيّة، كتب:

«أعزائي الشبيحة.. الممتلكات المعفوشة لاترد ولاتبدّل»

«بدكم تقنعوني أنو اللي طلع من حصار الجوع على الريف الشمالي بباصات البلديّة هوي اللي أخدلي الستالايت؟»..

عارف حمزة

سنحاولُ في الهدنة
أن نذهب إلى الثكنات
ونحدّق طويلاً
في الدبابات التي قصفتنا
ونرمي لها
فتات الخبز..

ديانا الجابري

قال وحدة نزحت من بيتا بجمعية الزهراء جنب الجوية وبعد يومين اتصلت تليفون ببيتا لتطمن انو فاضي او حدا دخلوا.. قام طلعلا واحد قالتلو:

- ألو، مين حضرتك خيو؟ هدا بيتي، إيش عمتعمل هون؟!

رد عليها وقلا:

- بقا أنتي صاحبة البيت.. اللّه يكسر ايديكي على هالكبة المقلية اللي بالبراد، عم نقليا لناكل وعبتفرط بالقلي كلا!

نسيت المخلوقة البيت وعصبت منوو وانحمئت وقالتلو بحده:

- لك ابني ماا معقول كبتي منظوومة، احمي الزيت منيح وما بتفرط ط ط ط، وبا تئشك خرجك كتير تقلي كبب!

توت.. توت.. توت!

إيهاب داماس

هل سمعتم من قبل..بمسيرة عفوية.. في مستشفى؟ رقص ودبكة..ومكبرات صوت!!

حدث أمس في حديقة مشفى المواساة بدمشق!

ماهر شرف الدين

الذين تمدّدوا في ساحة البيضا وداس عليهم الجنود.. لم يكونوا خمسين شاباً، بل كانوا عشرين مليون سوري..

لكن الكاميرا لم تتسع للجميع.

ريم الغزي

عم فكر أنزل بوجهي على أقرب حاجز لملم البوسترات.. أطرشهن بالبيت عندي وخالصين. ما بقي غير أرضية الشوارع، وحيطان بيتي لأنو.

خولة حسن الحديد

الاطمئنان من غياب العقاب عند المجرمين يؤدي بسوريا وأهلها إلى الكارثة، كل ذاهب لأخذ حقه بيده يأساً من إمكانية الحساب وغياب العدالة والمجرمون يتفننون بصنوف الإجرام علنا لاطمئنانهم أنه لا عقاب.

فادي داهوك

انفرط عقد تمثيلية الديموقراطية على شاشات الإعلام السوري. كل الشاشات الآن للأسد، لحملته، كل شيء في سوريا له. النسر والنجوم على أكتاف وزير الدفاع، والثياب الداخلية للعاملين في وسائل الإعلام السورية. كلها ملك الأسد.

نهاد السيد عيسى

رجفة الشفاه قبل البكاء.. أقسى من ألف بكاء..

نجيب جورج عواد

فيتو روسيا والصين لا يمحي الحقيقة ولا يحمي المجرم من محكمة التاريخ. لم يحاكم أحد هتلر في أي محكمة، ولكن البشرية جعلت منه رمزاً للوحشية والشر إلى الأبد. التاريخ والأجيال لا تنسى.

يوسف بزي

كلما شعر الغرب بأن مماطلاته باتت فاضحة، وحان الوقت للقيام بفعل ما، أحرج الروس والصينيين بالفيتو، مبرئاً ذمته. أوباما الجبان أسوأ بكثير من بوش المتهور.

حديث قصير جداً

يوم أمس جمعني مكان بأحد الضباط الكبار المنشقين عن النظام. دار بيننا حديث لعدة دقائق حول عدة مواضيع. ما لفت انتباهي الشعور العارم بالخسارة التي يشعر بها. عندما قال سياسيي المعارضة ماذا خسروا؟

أنا خسرت مكتب أكبر من هذا المكتب بثلاث مرات وعشرة سيارات مرسيدس وخدم ومرافقة ومكانة اجتماعية وتلفونات بالجملة والمفرق.. إلى آخر ذلك.

للصراحة لم أتوقع هذا الكلام لا من قريب ولا من بعيد وكان صادم لي بطريقة خفت أن أقوم بردة فعل مشينة لولا أنه في مكان أنا مسؤول عنه ولا أريد أن يصدر مني فعل متسرع. لكن قلت له ولا أريد ان أبدو منفعل: خسارتك هذه مادية، ويمكن تعويضها ببساطة. آلاف من الشعب السوري خسر حياته في السجون والمعتقلات في الوقت الذي كنت أنت تجلس في المكتب الذي هو أكبر من هذا بثلاث مرات. ولا أريد الحديث والدخول في تفاصيل كيف أن ضابط رفيع يصل إلى المكان الذي أنت كنت فيه وما هي الأثمان المترتبة على تلك الميزات التي تمتعت بها وها أنت الآن تبدي ندم على خسارتها..

حاول أن يغير الموضوع وأنا تماشيت معه في ذلك لأني لست المقصود بالزيارة وبالتالي لا أريد ان أصعد الموقف وأصعبه على كلينا. لكن هذا نموذج لعقلية كانت ولا تزال تمارس عملها المعارض وتبحث عن مكاسب مماثله لما خسرته ويبدو أنها لا تزال تستخدم ذات الادوات للحصول على ذلك.

خالد المصري

المخبر

كانت حلقة «ضيعة ضايعة» التي رحل فيها «الفسّاد» بتشديد السين أي المخبر عن «أم الطنافس»، من أكثر الحلقات تعبيراً عن النظام حين فرض «ممثل السلطة» رئيس المخفر أبو نادر، على أهالي أم الطنافس أن يتناوبوا للقيام بدور «الفسّاد» أي المخبر لأن النظام لا يقوم بدون مخبر.

كأحد أدوات توطيد سلطته، فقد أراد نظام البعث - الأسد ان يحول الشعب السوري إلى شعب من المخبرين. فإضافة لأجهزة المخابرات وعناصرها الذين يعدون بعشرات الآلاف لكل جهاز، فقد أراد النظام أن يكون كل عسكري مخبر وكل بعثي مخبر وكل عضو في منظمات الشبيبة والعمال والفلاحين والنساء والطلبة مخبر، وأن يكون عيناً ساهرة على «أمن الوطن» ضد المتربصين به. لقد أراد ان يكتب كل فرد التقارير بمن حوله ليحول المجتمع إلى مجتمع من المخبرين بحيث يكتب الجميع تقارير بالجميع.

ورغم أن الشعب السوري رفض هذا الدور المخزي، وبقيت صفة المخبر أكثر الصفات احتقارا ووضاعةً، كما كانت قصيدة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب أول ما كان يتبادر للأذهان حين ذكر صفة المخبر، ويقول السياب فيها:

أنا ما تشاء.. أنا الحقير..
صباغ أحذية الطغاة..
و بائع الدم والضمير..

ورغم ذلك فثمة كثر رغبوا في القيام بدور المخبر طمعاً في منصب أفضل أو طمعاً في فتات أو حتى اتقاءاً لشر.. ولكن أكثرهم سفاهةً من قام بهذا الدور ليكون سلطة «ومستبد صغير على من حوله من مواطنين، فإن لم يطلب هؤلاء وده فهم يهابونه ويتحاشونه، إنه طاغية صغير في محيطه ولكنه حذاء لدى الجهة التي يقدم لها تقاريره.

سمير سعيفان

زملكا | عدسة المصوّر: بسام خبية | أيار 2014

إني قد خلقت من الشمس، ثم إني قد نزلت الأرض إليكم لأنير لكم قلوبكم.
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

مدارسهم المهدمة تفتقدهم
أطفالنا سوريا أي مستقبل ينتظرهم

طفلة في إحدى مدارس قرى إدلب | نيسان 2014

■ زليخة سالم

مقياس تطور الشعوب والدول يُرى من مدى تطور التعليم بكافة أنواعه فيها، فأي مستقبل ينتظر مئات الآلاف من أطفالنا المشردين والنازحين والغائبين عن مدارسهم المهدمة التي تفتقدهم مقاعدها وباحاتها وملاعبها، تفتقد ضحكتهم وضجيجهم وشغبهم، وأي تعليم نوعي يتلقونه في مدارس لا تعدو عن كونها خيمة مؤلفة من ألواح خشبية وقضبان معدنية ومشمعات بلاستيكية في دول الجوار.

جيل مهدد بالضياع، وسورية من أخطر الأماكن على الأرض بالنسبة للأطفال، وبرامج تعليمية طارئة، ومليوني طفل بحاجة إلى التعليم والدعم النفسي، وتحذيرات من التداعيات النفسية للأطفال، عناوين تطلقها منظمات الأمم المتحدة التي أعلنت عجزها عن الوصول إلى جميع الأطفال المهجرين والنازحين واللاجئين بسبب قلة الموارد اللازمة لذلك كما يدعّون، علماً أن السوريين باتوا مصدراً للتسول بالنسبة لهذه المنظمات.

مدير معهد تنمية الدول فيما وراء البحار / فاتكينز / حذر في تقرير له المنظمات الدولية والخبراء من الوضع التعليمي الذي وصل إليه الأطفال السوريين في لبنان، متهماً المجتمع الدولي بأنه يبذل جهوداً قليلة من أجل تعليم الأطفال من اللاجئين السوريين، وأنه لا يقدم للبنان الدعم الكافي للوصول لهم، مؤكداً ضرورة وضع خطة لتمويل وتوسيع جميع الفرص التعليمية، بما فيها التعليم المدرسي كما تنظمه اليونيسيف في بعض المخيمات، والتعليم في مدارس لبنانية حكومية.

وجاء في دراسة دولية أن تدهور مستوى تعليم الأطفال السوريين هو الأسوأ والأسرع في تاريخ المنطقة، في ظل اضطرار نحو ثلاثة ملايين طفل سوري إلى التوقف عن التعليم بسبب القتال، وأن هذا التدهور خلال السنوات الثلاث الماضية محا عقوداً من التقدم الذي أحرزته سورية في مجال التعليم حيث كانت نسبة الالتحاق بالمدارس تقدر بـ 97 ٪ حتى عام 2011.

وبينت الدراسة أن أكثر من نصف الأطفال غير ملتحقين بالمدارس، وخارج البلاد لا يسجل بالدراسة سوى واحد من بين كل ثلاثة أطفال من اللاجئين السوريين في لبنان الذي يستضيف أكبر عدد من اللاجئين السوريين، متوقعة ارتفاع العدد في ظل استمرار الوضع في التدهور، وطالبت بالتوقف باتخاذ عدد من الإجراءات الحاسمة لحماية البنية التحتية للتعليم داخل سورية، والتوقف عن استخدام المدارس لأغراض عسكرية، ومضاعفة الاستثمار الدولي في التعليم في البلدان المضيفة، وابتكار مناهج لتوفير الاحتياجات التعليمية للأطفال السوريين.

وفي الأردن قالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف" في تقرير لها إن نحو ستين ألف طفل سوري باتوا غير مؤهلين للعودة للتعليم بعد انقطاعهم عنه لسنوات، من بين نحو تسعين ألف طالب سوري فاتهم التعليم بسبب اللجوء إلى الأردن، وأن هؤلاء الأطفال من بين نحو 200 ألف طفل في سن الدراسة، منهم 110 آلاف طفل التحقوا بالمدارس العامة، مشيرة إلى ضرورة العمل على إعادة تأهيل الأطفال الباقين في المنازل قبل إلحاقهم بالمدارس بشكل عاجل، لأن إدماجهم في فرص التعليم بالغ الأهمية في إعطائهم الشعور بالهدف والأمان والحياة الطبيعية، وإعادة ربطهم مع أقرانهم ومجتمعاتهم، ومنحهم مهارات حياتية وتعليم أساسي يضمن مستقبلهم.

وعزا التقرير عزوف 28 ألف طفل عن الالتحاق بالمدارس في الأردن إلى تخوف الأهالي من تعريضهم للاستغلال والإساءة، والحرص على حمايتهم، وإلى عدم استقرار العائلة في مكان واحد، أو انشغالها بمصاعب اللجوء، وعدم معرفة كيفية الوصول إلى المدارس.

وفي تركيا انتشرت المدارس التعليمية للأطفال السوريين من جنسيات مختلفة عربية وأجنبية وسورية خيرية، ومناهج مختلفة، إضافة إلى استقبال الحكومة التركية للأطفال في مدارسها العامة مجاناً، وإنشاء مدارس خاصة بهم، وعلى الرغم من هذا الانتشار، إلا أن العديد من أطفالنا اضطروا إلى النزول إلى سوق العمل لمساعدة عائلاتهم على تكاليف المعيشة، أو التسول في الشوارع، والحدائق ليس في تركيا فقط بل هي ظاهرة واضحة للعيان في كل دول اللجوء المجاورة.

واللافت أن بعض المدارس الخيرية التي أسسها متطوعون سوريون في تركيا، وتدرس فيها المناهج المعدلة من قبل المعارضة تمنح شهادات من وزارة التعليم الليبية، وبعضها الآخر تمنح شهادات من جنسيات مختلفة، والسؤال الملح حالياً ما هي المناهج التي تدرس لأطفالنا، وهل تتناسب مع ثقافة مجتمعنا؟ وخاصة وأن الممول هو المتحكم في نوعية المناهج التي تنقسم بين مناهج سورية معدلة قليلاً، وبين مناهج دينية متشددة، ومناهج مؤدلجة، ومناهج أخرى وضعتها منظمات دولية معنية بالتعليم والأطفال.

مشكلة التعليم لا تقتصر على الأطفال اللاجئين فقط بل تطال أطفال سورية بالكامل ففي الداخل حيث تحولت أغلب المدارس إلى ثكنات عسكرية، ومعتقلات، ومأوى للنازحين في العديد من المناطق، لم يعد ما تبقى منها في المناطق الآمنة نسبياً يتسع للأعداد المتزايدة يومياً، التي وصلت إلى أكثر من سبعين أو ثمانين طالباً في الشعبة الواحدة، فكيف يمكن لهؤلاء الأطفال أن يستوعبوا ما يتلقونه من دروس، وكيف لهم أن يتفاعلوا مع المعلم في هذا الازدحام، مع كل الظروف النفسية المرافقة للطلاب النازحين من هجر بيوتهم، ومدارسهم، وفقدان ذويهم وأصدقائهم ومعلميهم، إضافة إلى المشاهد المرعبة التي عاشوها في مدنهم، إضافة إلى ظروف النزوح المريرة.

والأمر الفادح هو ما يتعرض له أطفالنا من تعليم في المناطق التي تسيطر عليها عصابات ومرتزقة دولة العراق والشام داعش، وجبهة النصرة، والكتائب المتشددة التي تعمل على تحويل أطفالنا إلى جهاديين ومجرمين وحاقدين.

أطفالنا الذين دفعوا الثمن الأكبر نتيجة تحويل الثورة إلى ساحة حرب، ونتيجة تعرضهم للعنف الجسدي والروحي والنفسي، والتهجير، والتشرد، والحصار والتجويع من قبل النظام، وفقدهم حق التعلم، يحتاجون إلى تضافر جهود السوريين جميعاً لإنقاذ أطفالنا من الضياع، ومع تقديرنا للمبادرات الفردية التعليمية الرائعة في دول الجوار وفي الداخل، إلا أنها لا تكفي.

وهي مسؤولية المعارضة الخارجية لأنها الجهة التي تتلقى التمويل، وتحديداً الحكومة السورية المؤقتة في اتخاذ خطوات عملية لتجهيز البنية التحتية للتعليم، وخاصة في مناطق اللجوء، والمناطق شبه المحررة، وتأسيس لجنة من الخبراء والكوادر العلمية السورية، تضم اختصاصيين في علوم النفس والاجتماع لوضع مناهج موحدة للطلاب السوريين، تفرض على جميع المدارس، وتأخذ بالاعتبار الظروف النفسية التي مرت على أطفالنا، لتكون القاعدة الأهم في تعليمهم وعلاجهم وتنشئتهم وتربيتهم تربية سليمة، قائمة على المحبة والتسامح، وقبول الآخر، لضمان مستقبلهم أي ضمان مستقبل سورية بالكامل.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (96785)

دمشق: 6677
ريف دمشق: 22200
حمص: 13037
درعا: 8729
إدلب: 10439
حلب: 18954
دير الزور: 5735
الرقة: 1129
السويداء: 75
حماة: 6428
اللاذقية: 972
طرطوس: 355
الحسكة: 683
القنيطرة: 724

7736 عدد الأطفال الذكور
3519 عدد الأطفال الإناث
7103 عدد الإناث
26646 عدد العسكريين
70139 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 25 / 5 / 2014
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر